تحقيقٌ وبحثٌ
في نطق فاء لفظ "الفراسة"
ومجاله الدلالي

أ. د. صادق عبدالله أبو سليمان

جامعة الأزهر- غزة/فلسطين

العـــــدد التّاســـــع
ربيــع الأول ١٤٣٧هـــ
ديســـــــمبر ٢٠١٥م

مجلة مجمع اللّغة العربية
على الشبكة العالمية

السيرة العلمية:

أ.د. صادق عبدالله أبو سليمان

- ماجستير في "العلوم اللغوية" بتقدير ممتاز، من كلية الآداب - جامعة الإسكندرية سنة ١٩٨٧م
- دكتوراه في "العلوم اللغوية "بتقدير" مرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب – جامعة الإسكندرية سنة ١٩٩٠م.
- يعمل حاليًّا أستاذًا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأزهر- فلسطين.
- عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

مدخل :

يقف هذا البحث عند مبحثين عامين في لفظ "الفراسة"؛ يبحث الأول في حركةِ فاء لفظ "الفراسة"؛ بياناً لأثرِها في المعنى، وذلك من خلال التفرس فيما ورد عن بعضِ لغويّي العربية القدماء من ضبطٍ وشروحٍ وردت في مصنفات متن اللغةِ من كتبٍ ومعجمات. أما الآخرُ فيدرس في مفرداتٍ أشار بعض لغويّي العربية إلى علاقتها الدلالية بلفظ الدراسةِ ترادفًا واشتراكًا لفظيًّا وتضادًّا.

القول في اختلاف حركة فاء لفظ "الفراسة" وأثرها في المعنى

(١)

وجدنا كتاب العين **للخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت. ١٧٥هـ تقريبًا) يذكر في مادة (ب. ص. ر) "ويقال للفِراسةِ الصادقة: فِراسةٌ ذاتُ بَصيرةٍ. والبَصيرة: العِبْرة، يقال: أَمَا لَكَ بصيرةٌ في هذا؟ أي عِبرةٌ تَعْتَبرُ بها" [(١)]. ويأتي **الأزهري** (ت. ٣٧٠هـ) فينقل هذا النص في معجمه "تهذيب اللغة"[(٢)].

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين(ج٧)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مادة (ب. ص. ر.)، باب السين والراء والفاء معهما، ص ١١٨+ كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم(ج ١)، تحقيق وترتيب: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م، باب الباء، مادة (ب. ص. ر)، ص ١٤٢.

(٢) الأزهري، : تهذيب اللغة (ج١٢)، تحقيق: أ. أحمد عبد العليم البردوني، و أ. علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، يُنظر، "كتاب حرف الصاد من تهذيب اللغة"، أبواب الثلاثي الصحيح من حرف الصاد، باب الصاد والراء، مادة (ب. ص. ر)، ص ١٧٧.

وكما هو واضحٌ فإننا نلحظُ أنَّ معجمَ الخليل- مقارنةً بما سيأتي- لم يعرِض **في هذه المادة** إلا لـ "فِراسة" واحدةٍ دون أن ينصَّ على حركة فائها، وإنْ جاءت فيه مشكولةً بعلامة الكسرة التي يتطلبها المعنى الذي أورده معجم العين لها في هذا السياق.

وفي مادة (ف. ر. س) وجدناه يفعل الفعلَ نفسَهُ في النصِّ على"فِراسةٍ" واحدةٍ أيضًا، وعدمِ الإشارةِ إلى حركة الفاء، **وإنْ جاءت فيه مشكولةً بالكسرة** أيضًا، قال: "هذا فَرَسٌ وهذه فَرَسٌ والفُروسَةُ، مصدر الفارس، لا فِعْلَ له. والفِراسةُ مصدرُ التفرّس"[(١)].

والفِراسةُ -كما نفهم من السياق، وورودُها في هذه المادة- تَعني "الفَراسةَ" الدالة على مهارةِ الفارس على ظهرِ فَرسِه، والغريبُ أن المعجم في تحقيقيه قد جاءَ بفاء هذه الكلمةِ مضبوطةً بحركةِ الكسرة دون تعليقٍ أو إشارةٍ في الحواشي إلى سبب توحيد حركتها في السياقين في مادتي (ب. ص. ر) و (ف. ر. س) مع اختلافِ دلالتيهما؛ وهو الذي نراه مخالفًا لما سنراه عند معجميّينَ وغيرِهم نصّوا على مخالَفةِ هذهِ الحركة، وأثرِها في اختلافِ المعنى بَيْنَ "فِراسة" بالكسر التي تَعني التثبت وإطالة النظر والتفحّص، و"فَراسة" بالفتح الخاصة بالفارس الماهرِ الحاذِقِ على ظهرِ فرسه. ولا أدري ما إذا كان يجوز لنا في هذا السياق التفرّس والقول: إنَّ أمر توحيد حركة الفاء هنا قد لا يتعدى كونه خطأً طابِعٍ، أو سهوًا من المحققين أنفسِهِم، أو أنهم لم يتنبهوا لاختلاف حركة الفاء، وأثرها في اختلاف المعنى.

(١) كتاب العين، مادة (ف. ر. س)، باب السين والراء والفاء معهما، ج٧، ص ٢٤٥+ كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم: باب الباء، م٣/ ص ٣١١. .

وإذا انتقلنا إلى عالِمٍ آخَرَ هو **ابنُ السِّكّيت** (ت. ٢٤٤هـ) في كتابه "إصلاح المنطق" وجدناهُ يوردُ في" باب الفَعالة والفُعولة" نصَّ الأصمعي- (ت. ٢١٦هـ)- في هذا السياق، وهو قوله:" **الأصمعيُّ: فارسٌ على الخيلِ** بَيِّنُ الفُروسيةِ **والفَراسة**، وهو **فارسُ النَّظَرِ بَيِّنُ الفِراسة**. ومنه: (اتَّقوا فِراسَةَ المُؤْمِنِ)"[(١)].

وإذا كانَ **الأصمعي**- كما نقلَ عنهُ ابن السكيت- لم ينص أيضًا على حركة فاء كلمة "**فراسة**" بالكلمات فإنَّ محققَي الكتابِ قد قاما برسمِ تشكيلِها مرةً مفتوحةً في مجال الفُروسيةِ على ظهرِ الخيل، ومرةً أخرى مكسورةً في مجال فِراسة النظر؛ وذلك بياناً لأثرِ اختلافِ الحركةِ في اختلافِ المعنى.

هذا وسيجيءُ نصُّ الأصمعيِّ في غيرِ معجمٍ أو كتابٍ بشيءٍ من التغيير؛ فقد **جاءَ في الأزهريِّ** على نحوٍ غيرِ مطابقٍ نصًّا، **ومضافًا إليهِ النصُّ على كسرِ الفاءِ** في معنى التفحص والتدبر، قال: "**الأصمعي: يقال: فارسٌ** بَيّنُ الفُروسِيَّةِ والفَراسَة - جاءت فاء الفَراسةِ مشكولة في المعجم بالفتحة -، وإذا كانَ **فارساً بعينِهِ ونظرِهِ** فهو بَيِّنُ الفِراسةِ **بكسر الفاء**[(٢)].

(١) ابن السكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق: إصلاح المنطق، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الناشر: دار المعارف- القاهرة، الطبعة الرابعة، وجاء تأريخ مقدمتي المحققين في ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م، ص ١١٠.

(٢) ينظر النص في "باب هذا كتاب حرف السين من تهذيب اللغة: (ف. ر. س)، ج١٢/ ص ٤٠٤.

وجاء **نص الأزهري** المنسوب للأصمعي عند **ابن منظور** بزيادة كلمةِ "الفُروسة"، قال: "**الأصمعي : يقال**: فارسٌ بَيّنُ **الفُروسةِ** والفُروسِيَّةِ والفَراسة- الفاء في المعجم مشكولةٌ بالفتحة-، وإذا كان فارسًا بعينهِ ونظرِهِ فهو بَيِّنُ الفِراسَةِ **بكسر الفاء**"[(١)]. أما الزَّبيديُّ فقد تَرَسَّمَ فِعْلَ سابقِهِ ابنِ منظور في زيادةِ" الفُروسَةِ"، ولَكنَّهُ وإنْ وافقَ نصَّهُ نصَّ سابقيهِ مضمونًا ولفظًا فقد استبدل بقولهما:" **بكسر الفاء**" قوله: بالكسر، وذلك على هذا النحو: "قال الأَصْمَعِيُّ: يُقَال: فارسٌ بَيِّنُ الفُروسَةِ والفَراسَةِ - الفاء مشكولةٌ بالفتحة- **والفُروسِيَّةِ**، وإذا كانَ فارساً بعَيْنِه ونَظَرِه فهو بَيِّنُ الفِراسَةِ، **بالكَسْرِ**"[(٢)].

والخلاصة- كما هو واضحٌ- أنَّ الأزهريَّ وابنَ منظورٍ والزَّبيديَّ لم يُردِفوا في نصوصِهم قولَ الأصمعي: "**بيِّن الفُروسيةِ والفَراسة** "بما أردفه ابن السكيت عنه، وهو سابقٌ لهم، وإنَّ ما أردفَه الأزهريُّ وابنُ منظور جاء متطابقًا نَصًّا حرفيًّا؛ فقالا: "وإذا كان فارسًا بعينهِ ونظرِهِ فهو بَيِّنُ الفِراسة بكسر الفاء". ووافقهم الزَّبيديُّ، مع مراعاةِ أنه ذكَرَ "بالكسر" بدلاً من "بكسر الفاء"[(٣)]. وعليه فإننا نستطيع أن نستنتج مما جاء عن هؤلاء

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب (ج١٠)، طبعة جديدة، عُني بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط٣/ ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م، مادة (ف. ر. س)، ص ٢٢٠.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس(ج ٢٣)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مراجعة: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، مادة (ف. ر. س).

(٣) تاج العروس: مادة (ف. ر. س).

العلماءِ أنهم اتفقوا على كسرِ فاءِ لفظِ "فِراسة" الدال على معنى التفرسِ بالنظرِ العيني والعقلي.

وإذا ما عَلِمْنا أنَّ نصَّ الأصمعيِّ في معجماتِ الأزهريِّ وابنِ منظورِ والزَّبيديّ قد جاء بزيادة كلمة "الفُروسةِ"، والإشارة إلى كسرِ فاءِ كلمة "فِراسة" في سياقِ الدلالةِ على فُروسيةِ النظر أمْكَننا القَولُ بفتحِ فاءِ لفظِ الفَراسةِ على ظهرِ الخيلِ لمرادفتها -كما سيأتي- للفظِ الفُروسةِ.

وأَيًّا ما يكن من أمرِ اختلافِ النقلِ في نصِّ الأصمعيِّ فَهَلْ لنا أنْ نقفَ عند دلالاتهِ فيما نَوَدُّ تَحقيقَهُ في هذه الدراسة، وهل لنا أن نقول: إنَّ ذِكْرَهُ الأصمعيَّ ومَنْ حاكاه في اختصاصِ "الفراسةِ" على ظهرِ الخيلِ بالإشارة **أولاً**، ثمَّ الإشارةِ إلى فِراسةِ النظرِ -كان يَصْدُرُ عَمّا للخيلِ مِنْ قِيَمٍ كبيرةٍ عند العرب. وإنَّ لِلَفْظِ" الفراسةِ" في هذين السياقينِ **لَدليلاً عندَهُ على الفرقِ الدقيقِ في المعنى** بين فراسةِ الفارسِ الناتجة عن ممارستهِ المتكررة لرياضةِ الفروسية على ظهورِ الخيل التي يعشقها العربُ، ويُعْلون من شأنِ المتميزين من بينهم فيها؛ وفراسةِ النَّظّارِ الذي يكابدُ من عناء الفكرِ والتدبرِ وكثرة المعاودةِ واحتناكِ الأمورِ ورَوزِها؛ ليصلَ إلى النظرِ والقولِ الصائبِ السديد، وذلكَ بما مَلَّكَهُ الله ﷻ من سلامةِ العقلِ ورجاحته، وحصافةِ الفكرِ والرأي التي احتنكها على مدى حياته من ممارساتِ تَجاربِ الحياةِ، وتقليب نظرِهِ في أحداثِها، وتفاعلِهِ معها مراجعةً بَصَريةً فكريةً مُتَدَبِّرَةً ملَّكتْهُ قدرةً متبصرةً تقوده إلى التمايز في اطّرادِ صوابِ إنتاجه القولي والفكري.

وإذا انتقلنا إلى عالمٍ لُغَويٍّ ثقةٍ؛ لنستفتيه في هذه المسألةِ فسنلتقي **ابنَ الأعرابيِّ** (ت. ٢٣١هـ) الذي أورد الأزهريُّ عنه في هذا السياق قائلاً: "أخبرني المنذريُّ عن ثعلب عن **ابن الأعرابي** قال: **فارسٌ في الناسِ بَيِّنُ الفَراسة والفِراسة، وعلى الدابة بيّن الفُروسية والفُروسَةِ لغة فيه**"(١).

وكما هو واضحٌ فإنَّ ابنَ الأعرابيِّ لم ينصّ على حركة فاءِ لفظِ الفراسة كما فعل الأصمعي، ولكنه بتكريره لهذا اللفظِ تكريرًا متتاليًا في سياقِ تعريفهِ للفظِ "فارس" قد يدفع إلى الاستنتاجِ أنه يقولُ بفتحِ الفاءِ في واحدةٍ وكسرِها في الأخرى، وبوجودِ فارقٍ معنويٍّ خاصٍّ في كلٍّ منهما.

هذا وقد وجدنا لفظَ "الفراسة" في التحقيقِ الذي رجعنا إليه مَشكولاً بالحركتين، ولكنَّه فَصَلَ بينهما بعلامةِ الترقيم الفاصلة بين المشكولةِ بحركةِ الفتحةِ وأختِها المشكولةِ بالكسرة، وذلك على هذا النحو: "**فارسٌ في الناسِ بَيِّنُ الفَراسة، والفِراسة وعلى الدابة بيّن الفُروسية**". ولا أدري لِمَ جاءت الفاصلةُ في هذا السياق، هل لأنَّ المحققين الفاضلين أرادا أنْ يفرقا بين فِراسةِ النظر، والفَراسةِ على ظهورِ الخيل، وبيانَ أنَّ ابن الأعرابي يُجيزُ الدلالةَ على المعنيينِ بِنطقِ لفظِ الفراسةِ بالحركتين؟.

أما الرأي عندي فيكمن في أنَّ ابنَ الأعرابيِّ في تكرارهِ لكلمةِ" الفراسة" في هذا السياقِ أرادَ أنْ يدلَّ على أنَّ لَفظَي (الفَراسة) و(الفِراسةِ) **باختلافِ حركتي فائهما من خصائصِ الفارسِ نفسهِ** سواءٌ أكانَ متفرسًا على ظهور الخيل، أم متفرسًا صائبًا في النظر؛ أيْ أنه أرادَ أنْ يُرشِدَ إلى أنَّ هذا

(١) تهذيب اللغة: في الأصل: "والفُروسةِ لغة فيه"، يُنظَر: مادة (ف. ر. س)، ج١٢، ص ٤٠٦.

التكرارَ مَرَدُّهُ إلى هذا المعنى المُشْتَرَكِ الذي تقاسمه النطقان؛ لذا فإنني لم أفصِلْ في كتابتي لنصِّ ابنِ الأعرابي بين نطقَي لفظِ "الفراسة" في هذهِ الدراسةِ. ومع هذا فإنني أرى أنَّ ما قلتُهُ - في هذا السياقِ- بشأنِ دلالةِ الفراسةِ بحركتيها ومعنييها على الفارس الذي يمتلِكُ هاتين المهارتين في تفسيرِ نصِّ ابنِ الأعرابيِّ **يمكنُ أنْ يُعينَ** أيضاً على فَهْمِ آخَرَ، وهو أنَّ في لَفْظَي الفراسةِ كليهما دلالةً عامةً مطلقةً على مضمون لفظِ "الفروسية" أيضًا، مع تفردِ كلٍّ منهما بمعنىً فُروسيٍّ خاصٍّ جاء التعبيرُ عنه باختلافِ نوعِ حركةِ الفاء.

وبمقارنةِ نصِّ ابن الأعرابي بما جاء عن الأصمعيِّ نرى أن ما قاله الأصمعي يمكنُ أن يكونَ أكثرَ وضوحًا في دلالتِهِ على المعنى العامِّ الذي يحملُهُ لفظُ الفراسة بصفةٍ عامة، وعلى أثرِ الحركةِ - وإنْ لم يَنُصّ على نوعها- في التمييزِ بين مفهومِ التفرسِ في لفظَي الفراسة؛ قال: "الأصمعيُّ: فارسٌ **على الخيلِ بَيِّنُ الفُروسيةِ والفَراسة**، وهو **فارسُ النَّظَرِ بَيِّنُ الفِراسة**".

ومع هذا فإني أرى أنه لا يمكنُ الجزمُ - في هذا السياق- بأنه يفرقُ أو لا يفرق بين دلالة الفراسة باختلافِ الحركةِ لعدمِ نصهِ عليها؛ وذلك لأنَّ تمييز الخليل والأصمعي وابنِ الأعرابي وثعلب وَمَنْ أتى بعدهم بالمعنى دونَ النصِّ أو الإشارةِ إلى أثرِ اختلافِ حركةِ فاء لفظِ" الفراسة" في اختلافِ المعنى قد يدفع إلى هذا التساؤل، وهو: هل يَعني عدمُ هذه الإشارة إلى الحركة أنهم يقولون بجواز فتح الفاء وكسرها في المعنيين؟.

أقول : لا أدري ما إذا كان يجوز لنا التفرّسُ في هذا السياق، والاستنتاجُ من أن عدم الإشارةِ لعله يُفْصِحُ عن إمكانِ نطقِ فاءِ "الفراسة" بالحركتين؛ فهذا قد يعني عدمَ تأثيرِ اختلافِ الحركةِ في دلالةِ هذه الكلمة؛ وهذا قد يدعمه أيضًا أنَّ العرب قديمًا قالت: السكوت في معرض الحاجةِ بيان، ونقول اليوم: السكوت علامة الرِّضا، وقال رسول الله ﷺ: "البِكْرُ تُسْتَأْمَرُ وإذنُها صُماتُها، والثَّيِّبُ تُعْرِبُ عن نفسِها".

على أنَّ الرأيَ عندي في ضوء ما جاء عن جمهور علماء العربيةِ في النص على اختلافِ حركتي الفاء وأثرِهِ في التمييز بين معنيي "الفراسة" هو أن **عدم الإشارة قد يرجعُ** -في هذا السياق- **إلى شيءٍ آخَرَ؛ لعله** يكمن في عدم ذيوع ظاهرة الخلط بين كسرِ الفاءِ وفتحِها في كلمة الفراسة في عصر علماءِ العربيةِ الأوائل؛ **إضافةً إلى أنَّ** مجيءَ صيغةِ فاء "فعالة" مشكولةً بالكسرةِ والفتحةِ -كما سيأتي- لم ينتج عنه اختلافٌ في معاني ألفاظٍ وردت في اللغةِ العربيةِ أو لهجاتٍ منها، وهذا قد يكون -عند قومٍ- دليلاً داعِمًا على جوازِ نطقِها بالكسرِ والفتح، وذلك بخلافِ ما أتى من بعدُ من أقوالٍ تقولُ بالتفريقِ بين حركتها وفقاً لمعناها في لغة العرب العالية.

وإذا ما انتقلنا للاطلاع على نصِّ ابنِ الأعرابيِّ في مصنفاتٍ أخرى[(١)] - كما فعلنا في نص الأصمعي- فسنجده عند ابن منظور (ت. ٧١١هـ) على

(١) اِطَّلَعْتُ على "كتاب أسماء خيل العربِ وفرسانها" لابن الأعرابي أبي عبد الله محمد بن زياد، فلم أجد فيه إشارة إلى لفظ "الفراسة"، ينظر الكتاب تحقيق: د. نوري حمود القيسي ود.حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

هذا النحو، قال: "ابن الأَعرابي: **فارِسٌ في النّاسِ بَيِّنُ الفِراسة والفَراسة، وعلى الدابة بيِّن الفُروسِيَّة، والفُروسةُ لغةٌ فيه، والفِراسةُ بالكسر**: الاسم من قولك: تَفَرَّسْتُ فيه خيرا"(١). وكما هو واضحٌ فإنَّ هذا النصَّ يتصدَّرُ بمتنِ النص الذي أوردَهُ الأزهريُّ بدونِ تغيير، ولكنهُ يزيدُ عليه الإشارةَ إلى كسرِ فاء الفِراسةِ في حالةِ كونها اسماً دالًّا على إمعانِ النظرِ والتوسم.

وكذلك الحالُ عند الزَّبيدي (ت. ١٢٠٥هـ) الذي وجدناه ينقلُ النصَّ عينَهُ عن سابقِهِ ابنِ منظور، على هذا النحو" وقال **ابنُ الأَعْرابيّ: فارِسٌ في النَّاسِ بيِّنُ الفِراسَةِ والفَراسِة، وعلَى الدَّابَةِ: بَيِّنُ الفُروسِيَّةِ، والفُروسَة لُغةٌ فيه**، هكذا نَصُّهُ المَنْقُولُ في اللِّسان، وهو خِلافُ ما عليه الجُمْهور، ثمّ تُوُسِّعَ فيه؛ فقِيل لكلِّ حاذِقٍ بما يُمارِسُ من الأَشْياءِ كلّها: فارِسٌ، وبه سُمِّيَ الرَّجُلُ. وقَدْ فَرُسَ، ككَرُمَ، فُروسَةً وفَراسَةً، وقيل: إِن الفَراسَةَ والفُروسَةَ لا فِعْلَ له"(٢).

وكما هو واضحٌ فإن الزَّبيديَّ يلفِتُ- في هذا المقامِ- إلى أن هذا النصَّ المنقولَ في لسان العربِ قد جاءَ" خلافَ ما عليه الجمهور" دون أن يفصِحَ عن وجه المخالفةِ فيه، وهو أمرٌ قد يكونُ- عندي- مستغرَباً منه؛ لأن نصَّ ابنِ منظورٍ هو عينُهُ ما جاء في" تهذيب اللغة" للأزهري. وإذا كان

(١) يُنظر، لسان العرب: مادة (ف. ر. س). أودّ أنْ أنبه في هذا السياق إلى اختلافِ تشكيل فاء" فراسة" في نص التهذيب عنه في اللسان والتاج؛ فقد جاء في التهذيب بفتحها في الكلمةِ الأولى، وبالكسرةِ في الأخرى؛ ولعل المشاكلةَ تقتضي فتح الأخيرةِ لمجاورتها لفروسيةِ الخيل، ولنصٍّ كثيرٍ من العلماءِ على فتح فاء "فَراسة" الدالة على فروسية الخيل.

(٢) يُنظر، تاج العروس: مادة (ف. ر. س).

الزبيدي لا يرشدُ قارئه إلى وجه المخالفةِ بين النصين فإننا في سياق هذه الدراسةِ المتفرسةِ في مقاصدِ نصوصٍ وَقَفَتْ عند كلمة" الفراسة" وسندها -قد نرى أن الزبيدي لعله يقصد الزيادةَ التي أشرنا إلى أن ابن منظور قد أردفها بعد نص ابن الأعرابي.

وإذا سرنا مع الزمنِ خطواتٍ قريبةً من زمنِ ابنِ الأعرابي فسنجد عدمَ الإشارةِ إلى الحركةِ وأثرِها فيما جاء عن **ابن قتيبة** (ت. ٢٧٦هـ) الذي قرأناهُ في سياقِ فُروسيةِ الخيلِ يُهملُ الإشارةَ إلى كلمةِ" الفَراسة" بمعنى حَذاقةِ فُروسيةِ الفارس، حيثُ قال:" ومن المصادر التي لا أفعال لها:... **وفارسٌ على الدابةِ بَيِّنُ الفُروسة، والفُروسية؛ وفارسٌ بالعَيْنِ بَيِّنُ الفِراسة**"[(١)]، وذلك بكسرِ الفاءِ في تشكيلِ تَحقيقَي الكتاب. ووجدناه يشيرُ في سياقٍ آخرَ إلى هذا اللفظ فيَ" **باب ما جاء على فَعالة وفُعولَة**" قال:" **وفارسٌ بَيِّنُ الفَراسةِ، والفُروسة**"[(٢)]. وجاء تشكيل فائها في هذا السياقِ في التحقيقَينِ بالفتحة، وهو تشكيلٌ جاء موافقاً لِعنوانِ ابن قتيبةَ في هذا الباب[(٣)].

على أنّي من خلال تَدَبُّري في نَصَّي ابنِ قتيبةَ **أستطيع أنْ أقول**: إنَّ **إهمالَهُ** الإشارةَ إلى لفظ" الفراسة" في النصِّ الأولِ في سياقِ ذِكْرِهِ لفروسية

(١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، حققه وعلَّقَ حواشيه، ووضع فهارسه: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م، يُنظر فيه: ص ٣٤٢. وله تحقيقٌ آخَرُ شَرَحَهُ وكتبَ هوامشه وقدَّمَ له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١/ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، ص ٢٢٧.

(٢) المصدر السابق: (الدالي) ص ٥٥١+ (فاعور) ص ٣٦٧.

(٣) قد أفهم من تشكيل المحققين لفاء كلمة الفراسة بالكسرة والفتحة أنهما يفرقان في معناها وَفق هذه الحركة.

الخيل، **واختصاصَهُ** له بتفرسِ العين قد يوحي أنه يقصِرُ دلالةَ لفظِ" الفراسة" على التفرس بالعين فقط. ولكنَّ إشارتَهُ في نصهِ الآخَرِ إلى مرادفته بفتحِ فائهِ لِلفظِ" الفُروسة" قد يدفعُ إلى القول أنه يَقْصِدُ في هذا السياقِ لفظَ" الفَراسة" الدالَّ على فُروسيةِ الخيل أيضاً، **وأنَّ اللفظين بحركتيهما يَدُلّانِ على معنى الفروسيةِ العام** الذي أشرنا إليه من قبل، وأنَّ **الفَراسةَ المرادفةَ للفُروسةِ** تجيء **مفتوحةَ الفاء**؛ لذا فإنه قد يكونُ أراد التَّفْريقَ بينهما حركةً ومعنى.

وإنَّ لَمِمّا يَدْعَمُ هذا التجويزَ عندي أيضاً **الأخذَ** بعينِ الاعتبارِ أنَّ **كلمةَ" الفارس" تُشكِّلُ في هذا السِّياقِ لفظاً مُشْتَرَكَ الدلالةِ**؛ فهي تدلُّ على الفارسِ على ظهر الدابةِ، وعلى المتفرِّسِ بالعين أيضا، ولكنه أرادَ اللفتَ إلى معنى فِراسةِ النظر؛ لِغلبةِ ذيوع فَراسة الخيل على ألسنة الناس في شبه جزيرتهم منبعِ العربية الفصيحة، كما قلنا من قبل؛ وذلك على النحو الذي قد فهمته من نصِّ ابنِ قتيبةَ نفسه، قال:" **وفارسٌ** على الدابةِ بَيِّنُ الفُروسة، والفُروسية؛ **وفارسٌ** بالعَيْنِ بَيِّنُ الفِراسة "[1]. ومن نصوصِ

(١) وجدنا ابنَ فارسٍ (ت. ٣٩٥هـ) في معجمه:" مقاييس اللغة" يذكر" الفروسية والفراسةَ" دون إشارة إلى حركة الفاء، وسياق النص عنده يدل على أنه أرادَ المعنى العامَّ المشترَكَ الذي يحملهُ لفظَ" الفراسة" بأيِّ حركةٍ منهما؛ قال:" يقولون: هو حَسَنُ الفُروسيَّة والفراسة. ومن الباب: التفرُّس في الشَّيء، كإصابة النَّظر فيه". وإن قوله:" ومن الباب..." نراهُ يَدعمُ هذا التحليلَ، وما قلناهُ من قبلُ بشأن غلبةِ ذيوعِ لفظِ" فَراسة" بفتح الفاءِ على ألسنةِ أهلِ العربية.

ينظر، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة (ج٤)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، باب الفاء والراء وما يثلثهما (ف. ر. س)، ص ٤٨٦.

أخرى كما في لسانِ العرب، قال:" يقال: **رجلٌ فارسٌ** بيِّن الفُروسة والفَراسة في الخيل، وهو الثَّبات عليها والحِذْقُ بأمرها. **ورجلٌ فارسٌ** بالأَمرِ؛ أَيْ عالمٌ بهِ بصير.... قال: **والفارسُ** الحاذقُ بما يُمارِسُ من الأشياءِ كلِّها، وبها سُمِّيَ الرَّجلُ فارسا"(١).

وإذا انتقلنا إلى كتاب" الفصيح" لأبي العباس ثعلب (ت. ٢٩١هـ) فإننا نجدُ أنَّ أكثرَ ما قاله الأصمعيُّ وابنُ الأعرابيِّ وابنُ قتيبةَ- وهو قولٌ مُتَشابِهٌ- قد جاء في هذا الكتاب، قال:" **وفارسٌ على الخيلِ بيّنُ الفُروسية والفُروسة**، وإذا كان **يتفرّسُ في الأشياء، وينظر فيها**، قلت: **بيّن الفراسة**"(٢).

وكما هو واضحٌ فقد ذكر ثعلبٌ لفظ" **الفارس**"، وأشار إليه **بالضمير الغائب**، وهذا يعني أن مضمون هذا اللفظِ قد ورد في نصٍّ ثعلب مرتين مثلَ سابقيه، وجاء عنده مثلَهم مُشتركَ الدلالةِ في سِياقَي فُروسةِ الخيلِ وفِراسةِ النظر. وكذلك كان مثلَهم في عدمِ الإشارةِ إلى حركةِ الفاء، وكذلك كان حالُ محققِ كتابهِ مثلَهُ حين لم يَقُمْ برسمِ حركةِ فاءِ كلمةِ الفراسةِ بهذا المعنى.

وإذا كان ابن الأعرابي قد قال :" **وعلى الدابة بيّن الفُروسية والفُروسَةِ**"، وابنُ قتيبةَ قد قال:" **وفارسٌ على الدابةِ بَيّنُ الفُروسة، والفُروسية**" فإن ثعلباً استبدل بلفظ" الخيل" لفظ" الدابة". وإذا كان الأصمعي قد قال:" **فارسُ**

(١) لسان العرب: مادة (ف. ر. س)، ج١٠/ ص ٢٢٠.

(٢) ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى: الفصيح، تحقيق ودراسة: د. عاطف مدكور، دار المعارف- مصر، ص ٢٨٣.

النَّظَرِ بَيِّنُ الفِراسة"، ومن بعدهِ ابنُ قتيبةَ قد قال:" **وفارسٌ بالعَيْنِ بيِّنُ الفِراسة**" فإن ثعلباً قال:" وإذا كان **يتفرّسُ في الأشياء، وينظر فيها**، قلت: **بيّن الفراسة**".

وإذا كان ثعلبٌ لم يُشِرْ في جملةِ نصهِ إلى لفظِ" فَراسةِ" عند إشارته إلى" فارس على الخيل" محاكياً صنيعَ ابنِ الأعرابي وابنِ قتيبة، فإنَّ **فهمَهُ وفهمَ الأصمعيِّ** من قبلِهِ لمعنى لفظ" الفارس" **المشترك في دلالته العامةِ** على المتفرِّسِ نَظَراً أو على ظهر الخيل -قد يجعلنا- كما سيأتي أيضاً- **نُقرُّ** بإعمامِ **دلالةِ لفظِ" فراسة" بنطقَي فائه على حَذاقَةِ التَّفَرُّسِ بصفةٍ عامة**، وعند **التخصيصِ يكون لفظُ" فِراسة" بالكسرِ للتَّفَرُّسِ نظراً، وبالفتح على ظهور الخيل**.

وإذا كان ثعلبٌ لم يذكر أيضاً إلا فراسةً واحدةً للفارس هي فِراسةُ النظر فإننا رأينا الأصمعيَّ- في إشارةٍ سريعةٍ غيرِ شارحةٍ- يذكر لفظ الفارس مع الفراستين فهل يعني هذا أنَّ ثعلباً لا يقولُ إلا بفراسةٍ واحدة؟ نحنُ لا نرى ذلك في ضوءِ ما حللناهُ من قبل؛ فأشرنا إلى غلبة ذيوعِ لفظ الفَراسة بفتحِ فائها على المكسورةِ فائِها؛ لذا فإنَّ الإشارةَ والتنبيهَ إلى ما ليس ذائعاً عند جمهرةِ أهل اللغةِ لَنراهُ خيرَ معينٍ على عدمِ الخلطِ بينهما؛ والإيجاز- فيما معروفٌ- ضَرْبٌ من ضُروبِ البلاغةِ عند العرب، واللبيبُ تكفيهِ الإشارة.

هذا وقد **تناول غيرُ عالمٍ كتابَ ثعلب بالشرحِ والتعليقِ أو النظم**، وجاء من هؤلاءِ مَنْ دارَ في فَلَكِ مضمونِ المصنِّفِ دون زيادةٍ، أو استفادَ من سابقيهِ مِنَ الذين وقفوا على نَصَّي الأَصمعيِّ وابنِ الأعرابي، أو أضاف إليهما.

وكان من الذين داروا في فلكه أبو منصور ابن الجبان (ت. بعد ٤١٦هـ) شارحَ كتابِه. فقد وجدناه لا يتعدّى أكثرَ لفظهِ ومضمونَ ما جاء عنه، قال:" وفارسٌ على الخيل بيّن الفُروسيّة والفُروسة، وهو الحاذِقُ بركوب الخيل، والجميع الفوارس؛ فإذا كان نَظّاراً في الأمرِ مُتَفَرِّساً فيها، قيل: فارسٌ بَيِّنُ الفِراسة"(١).

وقرأنا **الهروي** (ت. ٤٣٣هـ) يذكر"(وفارسٌ على الخيلِ: بيّنُ الفُروسيّة والفُروسة)، وهو الحاذِقُ بركوبِ الخَيل، المستمسك عليها عند جَرْيِها،(وإذا كان يَتَفَرَّسُ في الأشياء، وينظر فيها قلت: بَيِّنُ الفِراسة)، ومعناهما: الظاهرُ الثَّباتُ على الخيل، والظاهرُ الإصابةِ في الأشياء، إذا نظَرَ فيها، والفارسُ: الراكبُ الفَرَس، وهو ضدُّ الراحل، والتفرّسُ في الأشياء: البَصر واللطفُ والمعرفةُ بها"(٢).

وجاء هذا المضمون في" التلويح في شرح الفصيح" للهروي أيضاً، وذيْله للشيخ موفق الدين أبو محمد البغدادي قال:"(وفارسٌ على الخيلِ: بَيِّنُ الفُروسيّة والفُروسَة)؛ أيْ ظاهِرُ الحِذْقِ بركوبِ الخيل، والاستمساكِ

(١) ابن الجبان، أبو منصور: شرح الفصيح في اللغة، تقديم: أ. إبراهيم الوائلي، تحقيق: د. عبد الجبار جعفر القزاز، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط١/ ١٩٩١م، ص ١٧٥.

(٢) الهروي، أبو سهل محمد بن علي بن محمد: كتاب إسفار الفصيح، دراسة وتحقيق: د. أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، ١٤٢٠هـ، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ج١/ ص ٥١٩.

عليها عند جريها، (وإذا كان يَتَفَرَّسُ في الأشياء، وينظر فيها؛ قلتُ: بَيِّنُ الفِراسة)؛ أيْ ظاهرُ الإصابةِ في الأشياء، إذا نظَرَ فيها"[(١)].

وقال **الزمخشري** (ت. ٥٣٨هـ):" وقوله:(فارسٌ بيّنُ الفِراسة)، وهذا وصفٌ مبنيٌّ على الفعل؛ **قال الأصمعي** : يقال: فَرُسَ يَفْرُسُ فَراسَةً، وقال غيرُه: فَرَسَ بالفتح، وهذا أجود؛ لأنَّ فاعلاً قَلَّ ما يجيءُ على فَعُل. والفِراسةُ إصابةُ النظَر، وفي الخبر: اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فإنَّه ينظُر بنُورِ الله، وقال الشاعر:- بحر الطويل-

بأطيبَ مِنْ فيها وما ذُقْتُ طَعْمَها ولكنّني فيما تَرى العينُ فارسُ"[(٢)].

ومن الذين استفادوا من سابقيهم في الزيادة ابن أبي الحديد الرافضي (ت. ٦٥٥هـ) في نظمِهِ لكتاب ثعلب الذي أتمَّهُ في عام (٦٤٣هـ)[(٣)]؛ فإذا كان ابن الجبان والهروي وأبو محمد البغدادي والزمخشري لم يشيروا في شروحهم لنصِّ ثعلب إلى حركة فاء الفراسة أيضاً فإننا وجدنا

(١) الهروي، أبو سهل: التلويح في شرح الفصيح، فصيح ثعلب، وذيله للشيخ الفقيه الأديب موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن الحافظ بن العز يوسف بن محمد البغدادي، مطبعة وادي النيل بقاهرة مصر، ط١/ ١٢٨٥هـ، ص ٥٠.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: شرح الفصيح، تحقيق ودراسة: د. إبراهيم بن عبد الله الغامدي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤١٧هـ، ق٢/ ص ٢٩٨.

(٣) قال ابن أبي الحديد الرافضي في ختام منظومته:

عام ثلاثٍ ثمَّ أربعينا مِنْ بعدِ سِتِّمِائَةٍ سِنينا

والحمدُ للهِ على إتْمامِهِ كِفاءَ ما أَسْداهُ مِنْ إنْعامِهِ

ابنَ أبي الحديد الرافضي (ت. ٦٥٥هـ) في منظومتهِ يُشير- كما فعل سابقون له في نصوص الأصمعي وابن الأعرابي مثلاً- إلى كَسْرِها عند دلالتها على تفرُّسِ النظر؛ فقال:

وإن تَشَأْ بِنيَّةِ الإيصافِ ... وفارسٌ في الخيلِ غيرُ خافِ
وَهْيَ الفُروسيّةُ منهُ، وَوَرَدْ ... فُروسَةٌ مشهورةٌ، وإنْ تُرِدْ:
حَدْساً، وَحُسْنَ نَظَرٍ، وَفِكْرِ ... فقلْ له: فِراسةٌ بالكَسْرِ[1]

ومن الذين أضافوا إلى سابقيهم من شراح كتاب ثعلب يأتي في مقدمتِهم **ابنُ درستويه** (ت. ٣٣٧هـ)؛ فقد قرأناهُ يقول:" وأما قوله:(يعني ثعلبا):" وفارسٌ على الخيلِ: بيّنُ الفُروسيّة والفُروسة، وإذا كان يَتَفَرَّسُ في الأشياء، وَينظرُ فيها قلتَ: بَيِّنُ الفِراسة، فهو كما قال، **ومعناهما جميعاً منَ البَصَرِ والحِذْقِ وحِدَّةِ الفهم**؛ لأنَّ **الفارسَ** إنما **هو الحاذِقُ** بركوبِ الخَيل وإجرائِها، والحَرْبِ عليها، **والمُتَفَرِّسُ** أيضاً البصيرُ اللطيفُ الفهمِ والمعرفة بالأشياءِ وآثارِها، وفي الحديثِ:" اتَّقوا فِراسةَ المؤمن؛ فإنه ينظرُ بنورِ الله ﷻ"...، **والفِراسةُ** بوزن الإمارة والوكالة والصِّناعة وعلى معناها، وهو اسم، وبالفتحِ مصدرٌ صحيحٌ كالوَكالةِ والوَلايةِ ونحوها، وقد رُوِيَ في الحديثِ:" اتَّقوا فِراسةَ المؤمن" بكسرِ الفاء"[2].

(١) ابن أبي الحديد الرافضي: نظم فصيح ثعلب، نشر أبو مالك العوضي، موقع ملتقى أهل التفسير (١٩/١١/١٤٣١هـ=٢٦/١٠/٢٠١٠م).
http://vb.tafsir.net/tafsir22885/#.VJ_3Cl4gGo

(٢) ابن درستويه، أبو محمد عبدالله بن جعفر: تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- وزارة الأوقاف (ج. م.ع) ص ٢١٧- ٢١٨.

إنَّ تَفَحُّصاً لِما جاءَ عن ابنِ درستويهِ في هذا السياقِ ليبيّن إشارتَهُ الواضِحَةَ إلى المعنى العامِّ المشتركِ في لفظِ الفراسة، وهو التَّمايزُ والحِذْقُ في مجالِ الفُروسِيَّةِ على ظَهْرِ الخيل، ومجالِ التَّبَصُّرِ والتَّوَسُّم. وكذلك في لفظِ" الفارس" المشترك في دلالته على مجالَي ركوبِ الخيل والتَّبَصُّر.

وكذلك فإنَّ وُقوفَ ابن درستويه عندَ ألفاظٍ أخرى مُشاكِلَةٍ لِلَفْظِ" الفراسة" في نطقِ الفاءِ فتحاً وكسراً- وإنْ كان كما سيأتي مسبوقاً في تعليلِ مضمونِهِ- لَيُشكِّلَ زِيادةً في مجالِ ما جاءَ في شرحِ فصيح ثعلب، ويُفْهِمُ منهُ بإشارتِهِ الفارقةِ بين اسمية" الفراسة" ومصدريتِها أنه يُقِرُّ بوجودِ فرقٍ دلاليٍ بين نطقِ فاءِ" الفراسة" بحركتي الفتحة والكسرة. ولا يمكن أنْ يُفهَمَ منه- كما قد يُتَوهَّم-؛ أنه يقولُ بجوازِ فتحِ الفاءِ وكسرِها في كلمة (فراسة) بدون اختلاف المعنى؛ لأنه إنما أرادَ أنْ يُشيرَ إلى **الفرقِ بينَ نُطْقِها** بكسرِ الفاء اسماً دالاً على" الفِراسةِ" بمعنى التفرّس وبُعدِ النظر، **ونُطْقِها** بفتحِ الفاء دالةً على معنى المصدر.

ولعل ما قد يدعم هذا التحليل أن ابنَ درستويهِ نفسَهُ- كما أرى- قد أشارَ في نصِّهِ السابقِ إلى **كسر فاءِ" الفِراسةِ" بهذا المعنى مرتين** :

الأول- وذلك حين أشارَ إلى أنها بهذا التشكيل اسمٌ، وقَرَنَها بألفاظِ" الإمارة والوكالة والصِّناعة"، وأكَّدَ- ما نرى- بقوله:" وعلى معناها"؛ أيْ- كما أفهم- أنَّ هذهِ الكلماتِ المناظرةَ لها في كسرِ فائِها تدلُّ على معنى الاسميةِ مثلِها، وذلك بخلافِ أختِها" الفَراسة" مفتوحة الفاء فإنها دالةٌ- كما قال- على ما يدلُّ عليه المصدرُ من معانٍ ذكرتها كتب النحو.

والآخَرُ- أنه بعد إشارتِهِ إلى اسميةِ لفظِ (الفِراسة) بالكسر، ومصدريتها بالفتح أردف استشهاده بالحديثِ النبويِّ الشريفِ" اتَّقوا فِراسةَ المؤمن" نصَّهُ الواضحَ الصريحَ على كسر الفاء.

وكذلك وجدنا معاصرَهُ **الأزهري**- كما نقلنا عنه في نصٍّ سابقٍ- قد أشارَ إلى أنَّ الأصمعيَّ قد نصَّ على كسرِ فاءِ الفِراسة بمعنى النظر المتمعن في الشيء، وكرر الأزهري في شرحه لمادة (ف. ر. س) النص على كسرها أيضا.

ويجيءُ أبو جعفر الفهري من علماء القرن السابع الهجري(ت. ٦٩١هـ) فيشرح نصَّ فصيحِ ثعلب جملةً جملةً، وما إن ينتهي من شرحه للجملة نراه ينتقلُ إلى نظيرتها التاليةِ. وقد وجدناه في سياقِ لفظِ" فراسة" **يقول بكسر الفاء وفتحها في المعنيين**، قال في شرحه: "ويقال: فارسٌ على الخيلِ بَيّنُ الفَراسةِ شرحه:" ويقال: فارسٌ على الخيلِ بَيّنُ الفَراسةِ بفتحِ الفاء[1]، **وحكى بعضُهم (الفِراسةَ) في الخيلِ بالكسر**...، وقوله: (وإذا كان يَتَفَرَّسُ في الأشياء، وينظرُ فيها؛ قلت: بَيِّنُ الفِراسة) **الفِراسةُ والفَراسةُ بالكسرِ والفتح**[2]: إصابةُ النَّظَر، وهي أنْ ينظرَ الرجلُ إلى ظواهرِ الأشياءِ فيَعلَم من ذلك بواطنَها، وذلك موجودٌ في الأولياءِ والمؤمنين،

(١) ذكر محقق الكتاب في الحاشية رقم ٥، ص ٢٠٩" حكاه الفراءُ، وعن الأصمعي: بيّنُ الفَراسةِ والفُروسةِ والفُروسية) اللسان فرس، وانظر الشرح المنسوب إلى الزمخشري ١/ ٢٩٦".

(٢) ذكر محقق الكتاب في الحاشية رقم ٨، ص ٢٠٩" في تصحيح الفصيح ١/ ٤١٤، وبالفتح مصدر صحيح كَالوكالة والوَلاية ونحوهما".

ومنهُ الحديث: اتَّقوا فِراسَةَ المُؤْمِنِ، فإنَّه ينظُرُ بنُورِ الله"[١]. وقد يبدو غريباً أن نقرأ الفهريَّ وهو من علماء القرن السابع الهجري، يقول بكسر الفاء وفتحها في المعنيين.

وإذا كنا قد قلنا: إن نصَّ ابنِ درستويهِ يُفْهَمُ منه أنه يُقِرُّ بل يوحي بوجودِ فارقٍ دلاليٍّ بين" فراسةٍ" بالفتحِ وأخرى بالكَسْر فإنَّ أبا جعفر الفهري واضحٌ في قولِهِ أو نقلِهِ بجوازِ الحركتينِ مع اختلافِ المعنيين؛ وهذا يَعني أنه لا يقولُ بأيِّ أثرٍ لاختلافِ الحركةِ في المعنى.

إنَّ تجويزَ ابنِ درستويه لنطق لفظ" فراسة" بالكسرِ على أنها اسم، وبالفتح على أنها مصدرٌ تختلفُ نتيجتُهُ- بلا ريب- عمّا اختصرَهُ الفهري حين قال بجواز النطقينِ دون إشارةٍ إلى تفريقٍ دلاليٍّ بين نطقِها اسماً أم مصدرا؛ إنَّ تجويزَ ابن درستويه قائمٌ- كما أفهم- على توحيد نطقِها بالمعنيين في كلِّ حالةٍ منهما؛ وعليه فَسواءٌ جاءت "الفراسة" اسماً أم مصدراً فسيكونُ للسياقِ أثرٌ في تبيان المعنى المرادِ منها، وذلك كما في كلماتٍ تتفق في صيغتها ولكنها تحمل أكثر من دلالةٍ يكشف السياق عنها، كما في صيغ:(فعول) بمعنى(مفعول)، مثل:(عَروض- حَلوب)، و(فعيل) بمعنى(فاعل)، مثل: (رحيم وسميع) بمعنى(راحم وسامع)،

(١) الفهري اللبلي، أبو جعفر أحمد بن يوسف: لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، تحقيق: أ. د. عبد الحفيظ سالم، دراسة: أ. د. عبد الكريم علي عثمان عوفي، مركز إحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ج١/ ص ٢٠٨- ٢١٠.

و(فاعل) بمعنى(مفعول)، مثل: (الطاعم والكاسي)...إلخ. وعلى هذا فإن اختلافَ الصيغةِ الذي أشار إليه ابن درستويه وغيره أراه- لا يُغيّرُ من النتيجةِ هنا شيئا؛ فالفِراسة بكسر الفاء حالة كونها اسماً يمكن أن تدل على معنى الاسميةِ لأيٍّ من المعنيين، والفَراسة بفتح الفاءِ حالةَ كونها مصدرا يمكن أن تدلَّ على معنى المصدريةِ لأيٍّ منهما؛ فالاسم والمصدر يَظَلَّ كلٌّ منهما يحافظُ على المعنى الذي يحملُه؛ وهنا يكون لمعنى تفرسِ النظرِ اسمٌ مكسورُ الفاء، ومصدرٌ مفتوحُها، ولِمعنى تَفَرُّسِ الخيلِ اسمٌ ومصدرٌ مثلهما أيضا.

*** الرأي فيما ورد في نطق فاء لفظ الفراسة ومجاله الدلالي:**

في ضوءِ ما تقدم فإن هناك من سكت عن الإشارة إلى حركةِ فاء لفظ" فراسة"، وهناك من أشار إلى مجيء فائه بحركتينِ واختلاف معناه بحسب الحركة، وهناك مَن قال بجواز إعمامِ الحركتينِ على معنيي اللفظ.

والسؤال الذي يطرح نفسه في ضوء هذه المعطياتِ هو: هل نقول في ضوءِ ما تقدَّمت دراسته: بجواز إعمامِ الحركتينِ بدون اختلافٍ في المعنى بين النطقين، أو أنَّ لكلٍّ حركةٍ منهما أثراً في مخالفةِ المعنى. ولكي نحاول الإجابةَ عن هذا السؤال سنعرضُ أيضاً لنصوصٍ نقتبسُها من معجمات اللغة نُصَّ فيها على حركةِ الفاء فعسى أن تعيننا على الوصول إلى الجوابِ الصواب، وسنعرضها في سياقين:

*** سياق النص الفارق بالنصِّ على الحركة :**

وفي هذا السياق الناصِّ على حركةِ الفاءِ وجدنا **الأزهري**(ت. ٣٧٠هـ) يشرحُ مضمونَ الأصمعيِّ فيقول:" يقال: رَجلٌ فارسٌ بيّن الفروسية، والفِراسة في الخيل، وهو الثباتُ عليها والحِذْقُ بأمرها. قال:

والفِراسة- **بكسر الفاء**- في النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به. يقال: إنه لَفارس بهذا الأمر: إذا كان عالماً به... وفي حديثٍ آخر: عَلِّموا رِجالَكُم العَوْمَ **والفَراسَةَ**؛ **قال**: والفَراسة العِلمُ بركوب الخيل وركْضِها"[(١)].

وبالتفرّس في مضمونِ ما أوردهُ الأزهريُّ نجده لا يختلف عن سابقيهِ في التفريق بين معنى الكلمة بالنص على كسرِ حركة الفاء في فراسة النظر، وعدمِ الالتفاتِ إلى حركةِ فاء فراسة الفارس على ظهرِ الخيل.

ويحذو **الصاغاني**(ت. ٦٥٠هـ) في معجمه" العباب" حذو الأزهري وغيره في النصِّ على كسر فاءِ الفراسةِ فقط دونَ أن يحددَ دلالتها نصاً على هذا المعنى، وإن أردفَ إشارته إلى هذا النطق بحديث رسول ﷺ:" اتَّقوا فِراسَة المؤمن فإنَّه يَنْظُرُ بنور الله". وكذلك كان تكريره للفظِ" الفارس" و" الفراسة" في سياق المعنيين؛ قال:" **والفِراسَة- بالكسر- : الاسم من التَّفَرُّس**، ومنها الحديث الذي يَرْفَعونَهُ إلى النبيِّ- ﷺ - اتَّقوا فِراسَة المؤمن فإنَّه يَنْظُرُ بنور الله. ولا يَثْبُتُ، تقول منه: رَجُلٌ فارسُ النَّظَر. ويقال: أفْرَسُ النّاسِ صاحِبَةُ موسى صلوات الله عليه. ورجُلٌ فارسٌ على الخيل، بيّنُ الفَرَاسَة والفُرُوسيّة، وقد فَرُسَ -بالضم- يَفْرُسُ فُرُوْسَةً

(١) الأزهري، تهذيب اللغة: يُنظر،" كتاب حرف الصاد من تهذيب اللغة"، أبواب الثلاثي الصحيح من حرف الصاد، باب السين والراء، مادة (ف. ر. س)، ج١٢، ص ٤٠٥.

وفَرَاسَةً: إذا حَـذَقَ أمـرُ الخَيْـل، وفي الحـديث: عَلِّمـوا رِجـالَكُم العَـوْمَ **والفَراسَةَ**: يعني العِلمَ بركوب الخيلِ وركْضِها"[١].

وإذا كان الأزهري والصاغانيَّ من بعده لم ينصّا إلا على الفِراسةِ بكسر الفاء فإنَّنا نجد **الجوهري** (ت. ٣٩٣هـ) في معجمه" الصحاح" يَنُصُّ على نوع الحركتين عند شرحه لمعنى الكلمة؛ قال:" **والفِراسَةُ بالكسر**: الاسم من قولك تَفَرَّسْتُ فيه خيراً. وهو يَتَفَرَّسُ؛ أي يتثبَّت وينظر. تقول منه: رجلٌ فارِسُ النظر. وفي الحديث: "اتَّقوا فِراسَةَ المؤمنِ". **والفَراسَةُ بالفتح**: **مصدر** قولك: **رَجلٌ فارِسٌ على الخيل بيِّنُ الفَراسَةِ والفُروسَةِ والفُروسيَّةِ**. وقد فَرُسَ بالضم: يَفْرُسُ فُروسَةً وفَراسَةً؛ أي حَذِقَ أمر الخيل"[٢].

ولا يبتعد **ابن منظور** (ت. ٧١١هـ) عن سابقه حين نَصَّ في معجمهِ على فتحِ الفاء وكسرها، حيثُ وجدناه يكرر مضمونَ هذا التفريق والنص على نوعِ الحركة. قال ابن منظور:" **والفَراسة، بالفتح، مصدر** قولك: **رجلٌ فارِسٌ على الخيل**. الأَصمعي: يقال فارِسٌ بيّن الفُرُوسة والفَراسة والفُرُوسِيّة، وإذا كان **فارساً بِعَيْنِه ونَظَرِه** فهو **بيّن الفِراسة، بكسر الفاء**، ويقال: إن فلاناً لفارس بذلك الأَمر إذا كان عالماً به. ويقال: **اتقوا فِراسة** المؤمن فإنه ينظر بنور اللَّه. وقد فرُس فلان،

(١) الصاغاني، الحسن محمد بن الحسن: العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق د. الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط ١/ ١٩٨٧م، ص ٣٢٥، مادة (ف. ر. س).

(٢) الصحاح: مادة (ف. ر. س).

بالضم، يَفْرُس فُرُوسة وفَراسة إذا حَذِق أمر الخيل. قال: وهو **يَتَفَرَّس** إذا كان يُري الناسَ أنه فارس على الخيل. ويقال: هو **يَتَفَرَّس** إذا كان يَتَثَبَّتُ وينظر...، **والفِراسة، بكسر الفاء**: في النَّظَر والتَّثَبُّت والتأمل للشيء والبصَر به، يقال: إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالماً به. وفي الحديث: عَلِّموا أولادكُمْ العَوْمَ والفَراسة؛ **الفَراسَة، بالفتح: العِلم بركوب الخيل وركْضِها، من الفُرُوسيَّة**، قال: **والفارس الحاذقُ** بما يُمارس من الأشياء كلِّها، وبها سمي الرجل فارساً"[(١)].

واختصر **الفيروز آبادي** (ت. ٨١٧هـ) القول في التفريقِ مبنىً ومعنىً، فقال:" والفِراسَةُ، **بالكسر**: اسمٌ من التَّفَرُّسِ، **وبالفتح**: الحِذْقُ بركوبِ الخَيْلِ وأمْرِها"[(٢)].

وجاء **الزَّبيدي** (ت. ١٢٠٥هـ) لِيعاودَ النَّقْلَ والشرحَ والتفصيل، وكان مما جاء فيه بشأنِ هذا السياق قولُه:" **والفِراسةُ، بالكسر**: اسمٌ من التفرّسِ، وهو التوسُّم، يقال: تَفَرَّسَ فيه الشيءَ؛ إذا توَسَّمَهُ، وقال ابنُ القطّاع: **الفِرَاسَةُ** بالعَيْنِ: إدْرَاكُ الباطِنِ، وبه فُسِّرَ الحَدِيثُ: اتَّقُوا فِراسَةَ المُؤْمِنِ، فإنَّه ينظُر بنُورِ الله... **والفَرَاسَةُ، بالفَتْحِ**: الحِذْقُ بركُوبِ الخَيْلِ وأَمْرِهَا وركْضِها والثَّبات عليها، وبه فُسِّرَ الحَدِيثُ: عَلِّموا أَوْلادكُمْ العَوْمَ والفَراسَةَ كالفُروسَةِ والفُروسِيَّةِ، بضمِّهما"[(٣)].

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ف. ر. س).
(٢) الفيروز آبادي: القاموس المحيط (ف. ر. س).
(٣) ينظر النصُّ في تاج العروس: مادة (ف. ر. س)، ص ٣٢٨- ٣٢٩.

نلحظ من النصوصِ المعجميةِ السابقةِ أنها انقسمت إلى قسمين؛ **الأول**- نصَّ أصحابُها على كسرة فاء الفراسة الدالةِ على فِراسة التثبتِ والنّظرِ كما هو الحال عند الأزهري والصاغاني، **والآخَرُ**- نَصَّ أصحابها على الحركتين؛ تمييزاً بين معنى النطقين؛ فهنا عند الجوهري وابنِ منظور والزَّبيدي وجدنا النصَّ واضحَ الدلالةِ على أثرِ الحركةِ في التفريقِ بين معنى الفراسة في النطقين، وذلك بخلافِ الفيروز آبادي الذي جاء نصه- وإنْ كانَ فارقاً- غيرَ واضح، وأيضاً بخلافِ مَنْ نَصَّ مِنْ سابقيهم على اختلافِ الحَركة، أو نَصَّ على نُطقِ فاء فراسةٍ دونَ الأخرى، أو نصَّ على الحركتين دون إشارةٍ تمييزيةٍ إلى أثرِهما في التفريقِ المعنويّ، كما هو الحال عند الفهري.

*** سياق النصّ الفارق بالتمييز بينهما وفق الحركةِ والسياق :**

إذا انتقلنا إلى هذا السياقِ فسنطَّلع على نصوصٍ في موادَّ معجميةٍ عدةٍ أشار فيها أصحابُ معجماتِها إلى مفرداتٍ اتَّفَقَتْ لَفظاً، واختلَفَتْ في دلالتِها وَفْقاً لاختلافِ حركةِ فائها، وذلك على النحو الذي قرأناه في شرح ابن درستويه لفصيحِ ثعلب.

وفي هذا السياق المعجمي أيضاً سنقرأ أيضاً مَن قال باتفاق المعنى بل بترادفه رغمَ سماعِ اختلافِ الحركتين، وذلك في سياقاتٍ خاصة؛ جاء في **تهذيب اللغة**" وقوله عز اسمه: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]. قال الفراء: يريد: ما لَكم من مواريثِهم من شيء. قال: وكسرُ الواو ههنا من" ولايتهم" أعجبُ إليَّ من فتحها؛ لأنها **إنما تُفتَحُ أكثرَ ذلك** إذا أُريد بها النُّصرة. وكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النُّصرة. قلت: ولا أظنُّهُ

عَلِمَ التفسير. قال الفراء: ويختارون في" ولَّيْتُه ولِاية": الكسر، وقد **سمعناهما بالفتح وبالكسر** في معنييهما جميعا؛ وأنشد:- بحر الطويل-

دَعيهم فَهُمْ أَلْبٌ عَلَيَّ ولايةٌ وحَفْرهُمُ أنْ يَعْلموا ذاكَ دائِبُ

وقال أبو العباس نحواً مما قال الفراء. وقال الزَّجّاج: يُقرأ: وَلايتهم، وولِايتهم، بِفَتْحِ الواو وكسرها، فَمَنْ فَتَحَ جَعَلَها منَ: النُّصْرَةِ والنَّسَب. قال: والوِلاية، التي بمنزلةِ الإمارة، مكسورة. قال: والوِلاية على الإيمان واجبة، المؤمنون بعضُهم أولياءُ بعض. **وَلِيٌّ** بَيِّنُ الوَلاية. **ووالٍ** بيِّن الوِلاية"[(١)].

ونقرؤه في **الصِّحاح** في هذا التمييزِ المختصَرِ بين الاسمِ والمصدرِ المستندِ إلى اختلافِ حركةِ فاء كلماتٍ وردت على وزنِ صيغةِ (فعالة)؛ قال: "**والوِلايَةُ بالكسر**: السلطانُ. **والوَلايَة والوِلايَةُ**: النُّصْرةُ"[(٢)].

وفي **لسان العرب** نجد نقلاً عن التهذيب، وفيه أيضاً:" ابن سيده: وَلِيَ الشيءَ وولي عليه وِلاية ووَلاية، وقيل: الوِلاية الخُطة كالإمارة، والوَلاية المصدر. ابن السكيت: الوِلاية، بالكسر، السُّلطان، **والولاية والولاية النصرة**. يقال: هم على وَلايةٍ؛ أي مجتمعون في النُّصرة. وقال سيبويه: الوَلاية، بالفتح، المصدر، والوِلاية، بالكسر، الاسم مثلاً الإِمارة والنِّقابة؛ **لأنه اسمٌ لِما توليتَهُ وقمتَ به فإذا أرادوا المصدر فتحوا**. قال ابن بري: وَقُرِئَ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾ بالفتح والكسر، وهي بمعنى

(١) تهذيب اللغة: (و. ل. ي).
(٢) الصحاح: (و. ل. ي).

النُّصرة، قال ابن الحسن: **الكسر لغة**، وليست بذلك.... قال: **والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة؛ لِيَفْصِلَ بين المعنيين**، وقد يجوز كسر الولاية؛ **لأنَّ في تَوَلّي بَعْضِ القومِ بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، ولك ما كان من جنس الصناعة نحو القِصارة** والخِياطة فهي مكسورة"[(١)].

وكما هو واضحٌ فإنَّ" تَهذيبَ اللغة" ينسبُ إلى الفراء أنهُ نَصَّ على **سَماعِ فتح الفاءِ وكسرِها في مَعنَيَي كلمةِ الولايةِ**، وزعَم أنَّ أبا العباسِ ثعلباً ذهب إلى نحو ما ذهبَ عَلَمُ الكوفةِ إليه[(٢)]، وكذلك جاءت إشارة الزجاج في قراءة" ولايتهم" بفتح الواوِ وكسرِها. وكان **لتكرير كلمة الولاية**- كما في التهذيب والصحاحِ ولسان العرب- تكراراً متتالياً في الدلالة على المعنى الواحد- النّصرة- دلالتُهُ الواضحةُ على جوازِ مجيءِ فائها حالةَ كونِها مصدراً مشكولةً بالحركتين.

وإذا كان لفظ **الولاية** صالحاً لنطقِ فائه في سياقِ المصدرية بحركتي الفتحةِ والكسرةِ **فهذا مَرَدُّهُ في هذا السياقِ** إلى ما يتضمنه هذا اللفظُ خاصةً من تضادٍّ معنويٍّ؛ يمكنُ توضيحُهُ بالائتناس بما جاء في تهذيب اللغة:" المؤمنون بعضُهم أولياءُ بعض. وَلِيٌّ بَيِّنُ الوَلايةِ. ووالٍ بيِّن الولايةِ"، أو لسان العرب، قال:" وكلَّ مَنْ وَلِيَ أمراً أو قام به فهو مولاه وَوَلِيُّهُ". وفيه:" ابن سيده: وَلِيَ الشيءَ وولي عليه وِلاية ووَلاية".

(١) لسان العرب: (و. ل. ي).

(٢) لم يرد هذا المضمون في كتاب الفصيح لذلك كان احترازنا بقولنا:" زعم"؛ ونُذَكّرُ في هذا السياق بنص ثعلب، قال:" وفارسٌ على الخيلِ بيّنُ الفُروسية والفُروسة، وإذا كان يتفرّسُ في الأشياء، وينظر فيها، قلت: بيّن الفراسة".

ومع هذا فما يزال- كما هو واضح- لاختلافِ الحركةِ عندهم دورٌ في التمييزِ المعنويِّ بين اسميةِ هذا اللفظِ ومصدريته؛ حيث وجدنا هؤلاءِ العلماءَ- إلى جانب ما ذكروه بشأن نطق فاء لفظِ ولاية بالحركتينِ حالةَ كونهِ مصدراً- يذكرون أنه:" قد تختلف مصادر هذه الأسماء، فالوَلاية بالفتح في النَّسَبِ والنُّصْرَةِ والعِتْق، والوِلاية بالكسر في الإمارة"[(١)]. وكما هو واضحٌ فإنَّ نصَّ ابنِ منظورٍ يختصُّ الاسمَ في كلمة" الوِلاية" بالكسر، أما" الولاية" التي بمعنى" النُّصرة" فجاءت في التهذيبِ مَنْصوصاً على فتحِ فائها وكسرِها **في معنى المصدر والنسب**.

ولعلَّ ما قلناه بشأن لفظِ" الولاية" ينطبق على لفظِ" الوكالة" الذي يدل على الوكيل أو المتوكِّل أو المتوكَّل عليه؛ ورد في الصحاح" وكَل، والاسم الوكالَةُ والوِكالَةُ. والتَوكُّلُ: إظهار العجز والاعتماد على غيرك". وفي المحكم ولسان العرب" والاسم الوكالة والوِكَالةُ"[(٢)]. وجاءت فاءُ الوكالة في العين مشكولةً بالكسرة؛ قال:" والوكيلُ فعله التَّوكُّل، ومصدره الوِكالة". ولعله قصدَ الاسم، أو أن الأمر لا يعدو كونَهُ سهوَ طابع[(٣)].

وإذا كان لفظا" الولاية" و" الوكالة" بما يحملانهِ من تضادٍّ معنويٍّ صالحاً لنطقِ فائهما في سياقِ المصدرية بحركتي الفتحةِ والكسرةِ فإنَّ هناك مفرداتٍ على صيغة(فعالة) يظهر فيها التمييزُ المعنويُّ القائمُ على

(١) لسان العرب: (و. ل. ي).
(٢) الصحاح والمحكم ولسان العرب: (و. ك. ل).
(٣) العين: (و. ك. ل).

اختلافِ حركتي الفاءِ واضحاً دونَ لَبْس؛ وذلك كما في لفظِ **نقابة**. جاء في الصحاح قال:" وقد نَقَبَ على قومه يَنْقُبُ نقابَةً. قال الفراء: إذا أردتَ أنَّه لم يكن نقيباً ففعل، قلت: نَقُبَ بالضم، **نَقابَةً بالفتح**. قال سيبويه: **النِّقابَةُ بالكسر الاسم، وبالفتح المصدر**، مثل الوِلاية والوَلايـة"[(١)]. ونقل عنه لسان العرب وتاج العروس هذا المضمونَ بأكثرِ لفظه ومصدره[(٢)].

وإذا كان التفريق في هذهِ النُّصوصِ المعجميةِ بين دلالةِ كلماتٍ متفقةٍ في حروفِها بُنِيَت على صيغة (فعالة) واختلفت حركةُ فائِها قائماً على اختلافِ الدلالةِ بين الاسميةِ أو المصدريةِ فإنَّ هناك كلماتٍ أخرى جاءت على هذا النَّمَطِ، وعُلِّلَ لعدمِ اختلافِ معناها بأنها **لغة** أو لهجة، ومن ذلك ما جاء عن ابنِ السكيت (ت. ٢٤٤هـ) فيما كتبه تحت عنوان" باب الفَعالةِ والفِعالةِ بمعنىً واحد" قال:" أبو زيد: الجَدايَة والجِداية: الغزال الشادن.... الفراء يقال: دليلٌ بَيِّنُ الدِّلالة والدَّلالة، وهي المِهارة والمَهارة من مهرت الشيء، والوِكالة والوَكالة، والجِنازة والجَنازة، والوِصاية والوَصاية، والجِراية والجَراية، والوِقاية والوَقاية، والوِلاية والوَلاية في النصرة، يقال: هم عَلَيَّ وَلايةٌ جميعاً، وقد نوت الناقة تنوي نِواية ونَوانة إذا سمنت، وحكى أبو عمرو عن بعضهم: والوَزارة بالفتح والوِزارة الكلام. الكسائي: الرِّطانة والرَّطانة المُراطَنَة. الأصمعي: هي البِداوة والحِضارة، وأنشد: - (بحر الوافر) -

فَمَنْ تَكُنِ الحضارةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيَّ رِجالِ باديةٍ تَرانا!

(١) الصحاح: (ن. ق. ب).

(٢) لسان العرب + تاج العروس: (ن. ق. ب).

أبو زيد: هي البَداوة والحَضارة. الكسائي: هي الرِّضاعة والرَّضاعة، يقال: ما أَحَبَّ إِلَيَّ خُلَّةَ فُلان؛ يَعني مَودتَّهُ ومواخاتَهُ، وخِلالَتَهُ وخُلالته وخُلولته مصدرُ خليل. وأنشدنا أبو الحسن: -(بحر المتقارب)-

وكيفَ وِصالُكَ مَنْ أَصْبَحَتْ خلالتُهُ كَأبي مَرْحَبِ"[١]

وجاء عن ابنِ قتيبةَ (ت. ٢٧٦هـ) فيما عقده بعنوان:" باب ما جاء على فعالة فيه لغتان: فَعالة وفِعالة"، قال:" هي الرَّطانة والرِّطانة، والوَقاية والوِقاية، والوكالة والوِكالة، ودليلٌ بَيِّنُ الدَّلالة والدِّلالة، وَمَهَرْتُ الشيءَ مَهارَةً ومِهارَةً، والوَصاية والوِصاية، والجَنازة والجِنازة، والبَداوة والبِداوة، والحَضارة والحِضارة، والوَلايةً من الموالاة، والوِلاية، والوَزارة والوِزارة، والكسرُ أجود، والرَّضاعة والرِّضاعة، والخَلالة والخِلالة مصدرُ خليل، ويقال أيضاً الخُلولة، وقد نوتِ الناقةُ تنوي نَايةً ونِوية إذا سَمِنَت، والجَداية والجِداية الرشأ"[٢].

ومما جاء في هذا المضمونِ عند علماءَ آخَرين كلمة الوزارة مثلاً، قال صاحب الصحاح" والوَزير: المُوازِرُ، لأنَّه يحمل عنه وِزْرَهُ؛ أي ثِقْلُ. والوَزارةُ: لغةٌ في الوزارَةِ". وقال لسان العرب" والوَزيرُ: حَبَأُ المَلِكِ الذي يحمل ثِقْلَه ويعينه برأْيه، وقد استَوْزَرَه، وحالَتُه الوَزارَةُ والوِزارَةُ، والكسرُ أعلى". وفي تاج العروس" وحالُه الوِزارَة، بالكسر، ويُفتح، والكسر أَعْلَى"[٣].

(١) إصلاح المنطق: ص ١١١ - ١١٢.

(٢) أدب الكاتب: تحقيق الدالي، ص ٥٥٠ + فاعور: ص ٣٦٦.

(٣) يُنظر، الصحاح + لسان العرب + تاج العروس: (و. ز. ر).

وإذا كان لاختلافِ اللهجاتِ عند العربِ تأثيرُهُ المعروفُ في النطقِ والمعنى **فإنَّ التقعيدَ على الغالبِ العامِّ في لغتهم الفصحى المشتركة لَهو المُعترَفُ به عند علماءِ العربيةِ القدماءِ وما يزال**. أما ورودُ خلافٍ لهجيٍّ هنا أو هناك فلا مجال له في التقعيدِ عند جمهورهم في عُلومِهم اللغويةِ ومصنفاتهم فيها.

وعليه فإنَّ النصَّ على أثرِ لهجةٍ هنا أو هناك، أو بمعنىً آخَرَ فإنَّ التَّوسّعَ في روايةِ شواهدَ من كلامِ العرب لا يَعني القولَ بالتقعيدِ لها، أو القياسِ عليها؛ لأنها مخالِفةٌ لإجماعِ جمهور العربية في الكلام، وإنَّ في التقعيدِ لها مَسّاً بنظامِ العربيةِ الفصحى الغالِب، ومخالَفةً -إنْ جازَ التعبير أو المجاز- لأبسطِ قواعدِ قوانين الديمقراطية التي تَفرضُ على الأقليةِ الانصياع لقرارات الأغلبية.

هذا من جانبِ الديمقراطية وأثرِها في تقعيدِ قواعدِ اللغة. وهو ما نراه لا يتعارض ومتطلبات الدراسةِ الوصفيةِ العلميةِ في أنْ يصفَ الدارسُ- أيّاً كانَ مجالُهُ التَّخَصصي- كل ما يستقرئه في موضوعِ دراستِهِ دونَ نقدٍ بوَسْمٍ أو وصمٍ، وإنما يكتفي بوصفِ مادةِ دراستِهِ كما هي، في ذاتِها ولذاتها، وذلك على النحو الذي قرره عالمُ اللغةِ السويسريُّ دي سوسير حين أشارَ في كتابه:" محاضرات في علم اللغة العام" إلى أنَّ" هدفَ علمِ اللسانياتِ الصحيحَ والوحيدَ هو دراسةُ اللغةِ في ذاتها ولذاتها"[(١)].

(١) De Saussure, F.: Course in general linguistics, translated by wade Baskin, introduction by Jonthan Culler, 2.nd impression, 1974, P. 232.

" The true and unique object of linguistics is language studied in and for itself ".

وهذا يَعني -كما يُفهَمُ من كلامِ دي سوسير- أنَّ الدراسةَ العلميةَ لِلّغةِ تتطلب الاستقراءَ العلميَّ الوافيَ لكلِّ ظواهرِ كلامِها في مختلفِ سياقاتهِ الحضريةِ والريفية والبدوية، والعلميةِ والفِكْريةِ والسِّياسِيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والحِرْفيةِ والتِّقْنيةِ وغيرِها دونَ الخلطِ بينها زَمَنِيّاً أو مكانيّاً أوْ طَبَقِيّاً...إلخ.

وإذا كانت الدراسةُ اللغويةُ العلميةُ ستجيءُ على هذا النحو جامعةً لكلِّ ما في اللغةِ من مظاهرَ كلاميةٍ توافقُ قواعدَ أنظمةِ اللغةِ وتخالِفُها فلا يعني هذا -كما أفهم- أنها تهدفُ إلى إقرارِها والتقعيدِ لها، وإنما تهدفُ إلى وصفِ ما هو موجودٌ فيها بوصفِ شواهدِهِ وتقديمِ بياناتٍ إحصائيةٍ لها؛ ليستفيدَ منها العلماءُ كلٌّ في مجالِ تخصصهِ، واستنتاجِ ما شاء لهم استنتاجه من المادةِ الوصفيةِ لديهم؛ فالدراسة الوصفيةُ منهجٌ دراسيٌّ صالحٌ لبيانِ الواقع كما هو دون تجميلٍ أو تزييف، وصاحبه -فيما أرى- كرجل المخابراتِ المنصفِ الذي يقدم لجهازه المعلوماتِ كما هي في أرض الواقع. أما التأويلُ والاستنتاجُ والتنبؤُ والقولُ بالصحةِ والخطأِ أو الجمالِ والقبح وما إلى ذلك من معاييرَ قواعديةٍ أو ذاتيةٍ فليست من مجال اهتمام الدراسات القائمةِ على المنهجِ الوصفيِّ، وإنّما مجالُها سَدنةُ المنهج المعياري "Normative Method"، وإذا جاز لنا التشبيهُ في هذا السياق فإن هذا المنهجَ هو مجالُ اهتمامِ المعلم والناقد، وإنما

الوصفي فهو مجال اهتمام العالم الذي يقرر، ويقارن، ويؤرخ، ويصفُ ما هو مُشاهَدٌ أو مُحَسٌّ أو ملحوظٌ لَدَيْهِ فقط.

وإذا كان هناكَ مَنْ عُنِيَ بروايةِ ظواهرَ لهجيةٍ أو ذِكْرِها في تصنيفِهِ كالكوفيين وَمَنْ تَبعهم مِنْ عُلَماء العربيةِ، ومَثَّلَ بهم بعضُنا على أنهم كانوا وَصْفِيّي المنهج في الفكر اللغوي العربي فإننا نَرى في سياق المعياريةِ أنْ تعالَجَ دراسةُ الظواهرِ اللغويةِ اللهجيةِ في حدودِ بيئتها، وألّا نَخلِطَها في قواعدِ اللغةِ المشتركةِ التي يُجمِعُ أهلُ اللغة- أية لغة- على استعمالها في لغتهم الرسمية؛ وعليه يجيء رأيُنا الذي ينصُّ على أن الكوفيين ومن حذا حذوَهم ليسوا وصفيين بالمعنى العلمي الدقيقِ للمنهج الوصفي، وإنْ كانوا الأقربَ إليهم من غيرهم في الدرس اللغوي العربيِّ؛ فهناك من خلَطَ اللهجةَ بالفصحى، أو فَسَّرَ أو أوَّلَ أو قالَ برأيٍ مستنداً إلى لهجةٍ أو قراءةٍ- يمكن القول بأنها استندت إليها- صددَ دراستِهِ أو تقعيدِهِ للفصحى؛ ومعروفٌ أن الكوفيين قد توسعوا في النقل عن العرب، وأنهم قَعَّدوا على الشاهد الواحد.

وعليه فنحن في هذا السياقِ نرى أنهُ يَتَوَجَّبُ علينا في هذا المقامِ ألّا نَخْرِقَ قاعدةَ التفريقِ بين معنى لفظِ" الفراسة" وَفْقَ حركةِ فائِها تأثراً بما جاءَ في بعضِ اللغات، ونَحُثَّ على أنْ تُحْصَرَ اللغاتُ أو اللهجاتُ في بيئتِها فلا تُغادرُها إلى قواعدِ اللغةِ المشتركَة؛ حفاظاً على سلامةِ هذه اللغة التي يجتمعُ عليها أبناءُ العروبة.

خلاصة رأي الدراسة

في حركة فاء لفظ الفراسة وأثرها الدلالي

وأَيّاً ما يكن من أمرٍ فهل لهذه السطور الأخيرة من هذه الدراسةِ أن تجولَ جولةً مستفيدةً من مقدماتٍ مهدت لها لتقول قولاً فصلاً فيما تراه في هذه المسألة؟. **أقول** : لعلنا لاحظنا مما سبق كيفَ أن جمهورَ علماءِ العربية كانَ يختصُّ لفظَ" الفراسة" على ظهرِ الخيل بالإشارة **أولاً**، ثمَّ يُثَنّي بالإشارةِ إلى فِراسةِ النظرِ، وهو بهذا التقديمِ كان يَصْدُرُ- كما أرى- عمّا للخيلِ عند العرب مِنْ قِيَمٍ كبيرةٍ.

لقد كان لهذه القيمِ العاليةِ الأثرُ الكبيرُ في كثرةِ تعاملِ العربِ مع الخيلِ واهتمامِهم بها، مقارنةً بغيرها من الحيواناتِ؛ فهي مصدرٌ من مصادرِ المتعةِ الجماليةِ في صحرائهم، قال ﷻ في سورة النحل﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل: ٨]، وهي وسيلتُهُم في الحركةِ السريعةِ رياضةً تَسُرُّهم وتشرحُ صُدورَهم؛ وحرباً تعينهم فَراسةُ فارسها على الفتكِ بأعدائهم؛ الأمرُ الذي نتج عنه كثرةُ ترادِ ألسنتِهم للألفاظِ التي تُعَبِّرُ عن الخيلِ وتدورُ في مجالها الدلالي ولاسيما ألفاظَ فَراسة الفرسانِ رياضةً ونزالاً للأعداء؛ وهو ما قد أراهُ شَكَّلَ عاملاً قوياً حَصَّنَ ألسنتهم من الزللِ في نطقِ هذه الكلمة الذائعةِ الصيتِ بينهم، العاليةِ القيمةِ في وِجْدانهم الجمعيِّ العامّ؛ قياساً إلى قرينتِها فِراسةِ النَّظْرِ؛ فهذه الكلمةُ وإنْ شكّلتْ قيمةً عاليةً معنىً ومَبنىً عندهم أيضاً فإنها- كما أظنّ- كانت أَقلَّ ذيوعاً؛ لمحدوديةِ بيئتها، وحصرها- في الأغلب- في بيئةِ الشيوخِ وكبارِ القبيلة؛ الشأنُ الذي أراه

قد غلَّبَ ذيوعَ نطقِ لفظِ الفَراسةِ بالفاءِ المفتوحةِ عليها، وجرَّ ألسنةَ غيرِ متفرسي اللغةِ إليها في سياقِ حديثهم عن فِراسةِ النظر؛ وهو ما أراه أيضاً كان وراءَ حِرْصِ جماعةٍ من لغويّي العربيةِ على الإشارَةِ إلى كسرِ فاءِ لفظِ" الفِراسةِ" في معنى إمعانِ النَّظرِ فقط مَرَدُّهُ إلى حِرْصِهم على سلامةِ ضبطِ نطقِهِ؛ وتمييزاً له عن نظيرِهِ المفتوحِ الفاء: هذا اللفظُ المأنوسُ النطقِ والمعنى عند السلف والخلَفِ من العربِ القدماءِ.

وإذا كان الأمرُ أمرَ تذوقٍ، أو كان لي من إضافاتٍ في هذا السياقِ الفارقِ بين نطقِ فائي لفظ" الفراسة" فهلْ لي أنْ أَقْرِنَ معللاً وجودَ حركةِ الفتحةِ بفَراسة الفارس على ظهورِ الخيل، ووجودَ حركةِ الكسرة بفِراسة الفارس في النظر والتدبر والتوسم؟.

أقول: إنَّ قَرْنَ" الفَراسةِ" المشكولةَ فاؤُها بحركةِ فتحةِ الفاء في لفظ الفَرَسِ- لَأراه- خيرُ مُعينٍ لنا على الخروجِ من الخلطِ بينهما نطقًا ومعنى، أما نظيرتُها المُعَبِّرةُ عن بُعْدِ النَّظَرِ والتّفرّسِ الذي يُحَقِّقُ لصاحبِهِ بعد عناءِ التفرسِ التحققَ والتوسمَ فجاءت مشكولةً بالكسرة: هذه الحركة القوية الثقيلة المعبّرة- في هذا السياقِ- عن ثِقَلِ المسؤولية، وذلك بخلافِ حركة الفتحةِ: هذه الحركة الخفيفة المعبرة عن الخفة المطلوبة للفارس وهو منطلقٌ ممتطيًا صهوةَ فرسه.

وإذا جازَ لنا الأخذُ بهذا التحليلِ الأسلوبيِّ الناتجِ عن خفةِ الفتحةِ المشاكلةِ لخفَّةِ الفارسِ على ظهرِ فرسه، وثِقَلِ الكسرةِ الدالةِ على ما يكابدهُ مُتَفَرِّسُ النظرِ فإنَّ ما عايشناه في نصوصٍ سابقةٍ من معنىً مشتركٍ في معنَيَي لفظِ الفراسةِ الناتجينِ عن اختلافِ حركةِ فائها **لا يمنعُ من القولِ**

بِثقلِ مهمةِ المتفرسِ نظراً وتدبراً، قياساً إلى ما يقوم به المتفرّسُ على ظهرِ الخيل الذي يَعْشَقُهُ الناسُ ويشجعونَهُ عليه.

وكذلك **لا يمنعُ من القول** بـأنَّ التَّحَلِّـيَ بصـفاتِ نتـائجِ مضـمونِ كِـلا اللفظَين لَيحتاج إلى حُنكـةٍ وَدُرْبـةٍ وتكـرارِ تجربـةٍ وسـرعةِ بديهـةٍ وأخـذِ الحَيْطَةِ والحذرِ من الوقوعِ في الخطـأ. وأنَّ كليهمـا لَيشـتركان- كمـا هـو واضحٌ- في رابطٍ دلاليٍّ عامٍّ يتمثلُ في امتلاكِ الفـارسِ للحذاقـةِ والبراعـةِ والمهارةِ والتَّفَوّق، ولكنَّ الاختلافَ يكمنُ في مهارةٍ ماديةٍ ملحوظةٍ علـى ظهرِ الخيل، وأخرى غير مدركةٍ تتفاعلُ مكونـاتُ إنتـاجِ أثرِهـا في دمـاغِ الفارسِ؛ ولا تَظْهرُ إلا بعدَ تمحيصٍ وتفحّصٍ وصبرٍ وعناء، مُدَلِّلـةً علـى مهاراتِ فارس البصيرةِ والنظرِ البعيدِ في القولِ والعِلْمِ بالأشياء.

ولعل ما يُقوّي ما قلناه في هذا السياقِ ما أورده ابنُ منظور حين قـال:" يقال: إن فلاناً لَفارسٌ بذلك الأَمر إِذا كان عالماً به.... قال: وهـو يَتَفَـرَّسُ إذا كان يُري الناسَ أَنه فارسٌ على الخيـل. ويقـال: هـو يَتَفَـرَّسُ إذا كـان يَتَثَبَّتُ وينظرُ.... يقال إِنه لَفارس بهذا الأَمـر إذا كـان عالمـاً بـه.... قـال: والفارس الحاذق بمـا يُمـارس مـن الأَشـياء كلـها، وبهـا سمـي الرجـل فارساً"[(١)].

وهكذا فإن التفوقَ في الفروسيتين: فروسية فرسان الخيـل، وفروسـية فرسان الرأي وبعد النظر لا يأتي إلا بالتمرسِ الذي يُكْسِبُ التفرّسَ ويُثبتُ تفوقَ المتصفِ فيه. وعلى هذا فهل لنا أنْ نقول- في هذا السياقِ- إنَّه ليس

(١) لسان العرب: مادة (ف. ر. س).

شرطاً اجتماع الفراستين في فارسٍ واحد، وأنَّ فَراسةَ الفارسِ على ظهرِ الفَرَسِ قد لا تَعْني امتلاكَهُ لِمَلَكَةِ فِراسةِ النّظَرِ والتوسّم الصادرة عن تفرّسِ ذي عقلٍ مُحَنَّكٍ رزين، والعكس صحيح؛ وهذا يتطلب التفريق بينهما لفظاً، وهو ما فعله سلاطينُ البيانِ من العربِ الأسلاف.

❁ ❁ ❁

العلاقات الدلالية

(٢)

وفي مجال العلاقات الدلالية" Sematic fields " نأتي على ألفاظٍ في اللغةِ العربيةِ ارتبط بعضها ببعض بعلاقة الترادف أو التقارب في المعنى، والاشتراك، والتضاد، والمجاز، وسنقف في هذا السياق عند كلٍ منها على حِدة.

*** علاقة الترادف والتقارب في المعنى:**

رادف لفظ" التفرس" أو قاربه في المعنى ألفاظٌ غلبت دلالتها على إمعان النظر للتفحص والتبصر في الشيء تدبراً وتثبتاً لإصدار رأيٍ أو وصفٍ صائب، **وذلك على النحو التالي :**

١- التبصّر والبصيرة :

وردت في معجمات اللغة العربية الإشارة إلى **تفسيرِ التفرّس بالتبصر**، وقد ورد في معجم" العين" قولُهُ في هذا السياق:" بصر والبَصارة

مصدر البصير، وقد بَصُرَ، وأبصَرْتُ الشيءَ وتَبَصَّرْتُ به، وتَبَصَّرْتُه: شِبْهُ رَمَقْتُه. واستَبْصرَ في أمره ودينه إذا كانَ ذا بصيرةٍ... ويقال للفِراسةِ الصادقة: فِراسةٌ ذاتُ بَصيرةٍ. والبَصيرة: العِبْرة، يقال: أَمَا لكَ بصيرةٌ في هذا؟ أي عِبرةٌ تَعْتَبرُ بها". وأنشَدَ:(مُرفّل الكامل)

في الذاهبينَ الأوّليـ ـنَ من القرون لنا بَصائِرْ

أي عِبَرٌ[(١)].

ونقل التهذيب ما أوردناه من العين ناسباً ما نقله إلى الليث، وأضاف" قال الأخفش في قوله: (بَصُرْتُ بما لَم يَبصروا به)؛ أي علمتُ ما لم تعلموا، من البصيرة. وأبصرت بالعين. وقال الزجاج: بصر الرجل يبصر: إذا صار عليما بالشيء: وأبصرت أبصر: نظرت، فالتأويل علمت بما لم تعلموا به... ويقال للفراسة الصادقة: فِراسةٌ ذاتُ بصيرة"[(٢)].

وجاءت المضامينُ السابقةُ عند الصاحب بن عباد والجوهري[(٣)] وابن منظور الذي أضاف:" وقيل: البَصيرة الفطنة، تقول العرب: أَعمى الله بصائره أَي فِطَنَه؛ عن ابن الأَعرابي: وفي حديث ابن عباس: أَن معاوية لما قال لهم: يا بني هاشمٍ تُصابون في أَبصاركم، قالوا له: وأَنتم يا بني أُمية تصابون في بصائركم. وفَعَلَ ذلك على بَصِيرَةٍ أَي على عَمْدٍ. وعلى غير بَصيرة أَي على غير يقين. وفي حديث عثمان: وَلتَخْتَلِفُنَّ على بَصِيرَةٍ؛

(١) العين: (ب. ص. ر).

(٢) تهذيب اللغة: (ب. ص. ر).

(٣) المحيط في اللغة: (ب. ص. ر).

أي على معرفةٍ من أمركم ويقين. وفي حديث أُم سلمة: أَليس الطريقُ يجمع التاجرَ وابنَ السبيل. والمُسْتَبْصِرَ والمَجْبورَ أي المُسْتَبِينَ للشيء؛ يعني أنهم كانوا على بصيرة من ضلالتهم، أرادت أن تلك الرفقة قد جمعت الأَخيار والأَشرار. وإنه لذو بَصَرٍ وبصيرة في العبادة؛ عن اللحياني. وإنه لَبَصِيرٌ بالأَشياء؛ أَيْ عالمٌ بها؛ عنه أيضاً. ويقال: للفِراسَةِ الصّادقة: فِراسَةٌ ذاتُ بَصِيرة. والبصيرة: العِبْرَةُ...، والبَصَرُ: العلم. وبَصُرْتُ بالشيء: علمته"[(١)]. واستفاد الزَّبيدي من ابن منظورٍ وسابقيه[(٢)].

٢- الحدس :

وجدنا في كلمة" الحدس" معنىً يقتربُ من التفرّس؛ فقد جاء عن **الأزهري**" قال الليث: الحَدْسُ: التوّهم في معاني الكلام والأمور. بلغني عن فلان أمرٌ فأنا أَحْدِسُ فيه أي أقول بالظن والتوهم...، ومنه حَدْسُ الظنِّ إنما هو رجمٌ بالغيب. الحراني عن ابن السكيت: يقال: بلغت به الحداس، أي الغاية التي يجري إليها وأبعد، ولا تقل: الإداس... ويقال: حَدَسْتُ عليه ظَنِّي ونَدَسْتُه إذا ظننتَ الظن ولم تحقه"[(٣)]. وذكر **الجوهري**" الحَدْسُ: الظنُّ والتخمين. يقال: هو يَحْدسُ بالكسر؛ أي يقول شيئاً برأيه"[(٤)]. ولم يبتعد **ابنُ منظور** عن سابقيه في ربطِ الحدسِ بالتخمين والظنّ، ونقل عنهم ولاسيما الأزهري"[(٥)].

(١) لسان العرب: (ب. ص. ر).
(٢) تاج العروس: (ب. ص. ر).
(٣) تهذيب اللغة: (ح. د. س).
(٤) الصحاح: (ح. د. س).
(٥) لسان العرب: (ح. د. س).

وتفرَّد **الزمخشريُّ** (ت. ٥٣٨هـ) في مرادفته بين الحدس والتَّفَرُّس، حين قال:" قال ذلك بالحدس وهو الفراسة، وحدس في نفسه وحدس الشيء: حزره. ورجل حداس، وفلان ما حدس إلا حسد، وأصله من حدسته بكذا إذا رميته وهو نحو الرجم بالظن. وفلان بعيد المحدس، وتحدست عن الأخبار: تبحثت عنها لأعلم ما لا يعلمه غيري. وتقول: مازال يتحسس ويتحدس حتى خبر. وَسَرَوْا في حندس ا لليل، وفي حنادس الظلم، وهو من الحدس الذي هو نظرٌ خافٍ"[(١)].

٣- الحَزْر :

جاء في معنى" الحَزْر" في **العين**:" حَزَرَ الحَزْر: حَزْرُكَ الشَّيءَ بالحَدس تَحْزِرُه حَزْراً"[(٢)]. وفي **التهذيب** :" وقال الليث: الحَزْرُ: حَزْرُك عدد الشيء بالحَدس، تقول: أنا أحْزِرُ هذا الطعامَ كذا وكذا قفيزاً"[(٣)]. وفي **المحكم** :" حَزَرَ الشيء يحْزِرُهُ ويحْزُرُه حَزْراً: قدره بالحدس. والمَحْزَرَةُ، الحزْرُ، عن ثعلب"[(٤)]. وفي **الصحاح**:" الحَزْرُ: التقدير والخَرْصُ. تقول: حَزَرْت الشيءَ أَحْزِرُهُ وأَحْزُرُهُ. والحازرُ: الخارص"[(٥)]. وفي" **أساس البلاغة**" **ومن المجاز** : حزرت قدومه يوم كذا: قدّرته، وحزرت قراءته عشري آية. واحزر نفسك هل تقدر عليه"[(٦)].

(١) أساس البلاغة: (ح. د. س).
(٢) العين: (ح. ز. ر).
(٣) تهذيب اللغة: (ح. ز. ر).
(٤) المحكم: (ح. ز. ر).
(٥) الصحاح: (ح. ز. ر).
(٦) أساس البلاغة: (ح. ز. ر).

وفي **لسان العرب** الذي استفاد من سابقيه- كما هو واضح- : " الحَزْرُ حَزْرُك عَدَدَ الشيء بالحَدْس. الجوهري: الحَزْرُ التقدير والخَرْصُ. والحازِرُ: الخارص. ابن سيده: حَزَرَ الشيء يَحْزُرُه ويَحْزِرُهُ حَزْراً: قَدَّرَه بالحَدْسِ. تقول: أنا أَحْزِرُ هذا الطعام كذا وكذا قفيزاً. والمَحْزَرَةُ: الحَزْرُ، عن ثعلب"(١).

وكذلك كان الأمر في **تاج العروس** قال:" الحَزْرُ: التَّقْدِيرُ والخَرْصُ، والحازِرُ: الخارِص، كما في الصّحاح، كالمَحْزَرَةِ، وهذِه عن ثَعْلَب. وفي المُحْكَمَ: حَزَرَه يَحْزُرُهُ، من حَدّ نَصَرَ، ويَحْزِرُهُ، من حَدِّ ضَرَبَ، حَزْراً: قدَّرَهُ بالحَدْسِ... **ومن المَجاز** : حَزَرْت قُدُومَه يومَ كَذا: قَدَّرْتُه. وحَزَرْتُ قِراءَته عِشْرِين آيةً: قَدَّرْتُها. واحزُرْ نَفْسَك هل تَقْدِرُ علَيه. كذا فِي الأساس"(٢).

٤- الحاكل :

نقل التهذيب" ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الحاكل: المخمن"(٣). وتكرر هذا المعنى في" لسان العرب" و" تاج العروس"(٤).

(١) لسان العرب: (ح. ز. ر).
(٢) تاج العروس: (ح. ز. ر).
(٣) تهذيب اللغة: (ح. ك. ل).
(٤) لسان العرب + تاج العروس: (ح. ك. ل).

٥- التخمين :

ذكر صاحب **العين**" التَخْمينُ: القولُ بالحَدْس"(١). وكرره بالنص صاحب **الصحاح**(٢). وذكر ابن دريد في **جمهرة اللغة**:" فأما قول الناس: خمَّنتُ كذا وكذا تخميناً، إذا حزره، فأحسبه مولَّدا"(٣).

والأزهري في **تهذيب اللغة**:" قال الليث: الْخَمْنُ: تَخْمينك الشيءَ بالوَهْم. خَمَنَ يَخْمُنُ خَمْناً. تقول: قلْ فيه قوْلاً بالتَّخْمين؛ أي: بالْوَهْمِ والظَّنِّ. وقال أبو حاتم: هذه كلمةٌ أصلها فارسيَّة ثُم عُرِّبَت. وأصلها من قولهم: "خَمَانَا". معناه: الظَّنُّ والحَدْسُ"(٤). وجاء في **المحكم**:" خَمَن الشيءَ يَخْمِنه ويَخْمُنه خَمْنا: قال فيه بالحَدْس. قال ابن دُريد: احسبه مولَّدا"(٥). وفي **أساس البلاغة**:" قل فيه بالتخمين؛ أي بالوهم والتقدير، وخمّن كذا إذا حزره، وخمنه يخنه خمناً"(٦). وفي **لسان العرب**:" خَمَنَ الشيءَ يَخْمِنه خَمْناً وخَمَنَ يَخْمُنُ خَمْناً: قال فيه بالحَدْسِ والتخمينِ؛ أَي بالوهمِ والظن؛ قال ابن دريد: أَحْسِبه مولَّداً. والتَّخْمِينُ: القولُ بالحَدْسِ.

(١) العين: (خ. م. ن).
(٢) الصحاح: (خ. م. ن).
(٣) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، حققه وقدَّم له: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت/ لبنان، حرف الخاء الثلاثي الصحيح وما تشعب منه: (خ. م. ن).
(٤) تهذيب اللغة: (خ. م. ن).
(٥) جمهرة اللغة: (خ. م. ن).
(٦) أساس البلاغة: (خ. م. ن).

قال أبو حاتم: هذه كلمةٌ أصلها فارسية عرّبت، وأصلها من قولهم خُماناً على الظَّنِّ والحَدْسِ"[١].

٦- التخيّل والمَخِيلة :

ذكر صاحب" **مقاييس اللغة**":" تخيَّلْت عليه تخيُّلاً، إذا تفَرَّسْتَ فيه"[٢] وجاء في **الصحاح**:" وتَخَوَّلْتُ في فلانٍ خالاً من الخير، أي أَخَلْتُ وتوسَّمت"[٣]. وجاء في **المحكم**" وخَيَّلَ فيه الخَيْرَ، وتَخيّله: ظنه وتَفرَسه...، وإنه لمَخِيلٌ للخير؛ أي: خليق له. والخالُ: ما توسمت فيه من الخير. وأخال فيه خالاً، وتَخَوَّلَ: تَفَرَّس[٤]. وفيه أيضاً" وأنه لَمخيلٌ للخير؛ أي: خليقٌ له. وأخال فيه خالا من الخير، وتخيلَ عليه، كلاهما: اختاره وتفرس فيه الخير"[٥]. واستفاد منه" **لسان العرب**"؛ وفيه:" وتَوَسَّمَ فيه الشيءَ: تَخَيَّلَه. يقال: توَسَّمْتُ في فلان خيراً؛ أي رأيت فيه أثراً منه"[٦]. وفيه أيضاً:" **وتَوَسَّمَ الشيءَ: تَخَيَّلَهُ، وتَفَرَّسَهُ**"[٧]. وأيضاً:" وخَيَّلَ فيه الخيرَ وتَخَيَّله: ظَنَّه وتفرَّسه... وإنه لمَخِيلٌ للخير؛ أي خَلِيقٌ له. وأَخالَ فيه خالاً من الخير وتَخَيَّل عليه تَخَيُّلاً، كلاهما: اختاره وتفرَّس فيه الخير. وتَخَوَّلت فيه خالاً من الخير وأَخَلْتُ فيه خالاً

(١) لسان العرب: (خ. م. ن).
(٢) مقاييس اللغة: (خ. ي. ل).
(٣) الصحاح: (خ. و. ل).
(٤) المحكم: (خ. و. ل).
(٥) السابق: (خ. ي. ل).
(٦) لسان العرب: (و. س. م).
(٧) القاموس المحيط: (و. س. م).

من الخير أَي رأَيت مَخِيلتَه[١]. وجاء في مادةٍ أخرى من لسان العرب:" والخال: ما تَوَسَّمت فيه من الخير. وأَخال فيه خالاً، وتَخَوَّل: تَفَرَّس وتَخَوَّلْتُ في بني فلان خالاً من الخير؛ أَي اخْتَلْت وتَوَسَّمت"[٢]. وفي" **القاموس المحيط**":" وأخالَ فيه خالاً من الخير، وتَخَيَّلَ وتَخَوَّلَ: تَفَرَّسَ"[٣]. وفيه" **وتَوَسَّمَ الشيءَ: تَخَيَّلَهُ، وتَفَرَّسَهُ**"[٤]، وأيضاً فيه" وما تَوَسَّمْتَ من خيرٍ،... وأخالَ فيه خالاً من الخير، وتَخَيَّلَ وتَخَوَّلَ: تَفَرَّسَ"[٥]. وفي **تاج العروس**" الخالُ: ما تَوسَّمْتَ مِن خَيرٍ يقال: أَخلْتُ في فُلانٍ خالاً مِن الخَير: أي تَوسَّمْتُ"[٦]، و" الخالُ: المَخِيلَةُ وهي الفِراسَةُ، وقد أخالَ فيه خالاً. الخالُ: الفَحْلُ"[٧].

٧- الرَّسْم :

ورد في" **تهذيب اللغة**" قال أبو عمرو: تَرَسَّمْتُ المنزل: إذا تأملت رسمه وتفرّسته"[٨]. وفي" **الصحاح**:" وتَرَسمْتُ الدارَ: تأمّلت رَسْمَها. وقال ذو الرمة :- (بحر البسيط)-

أَأَنْ **تَرَسَّمْتَ** من خَرْقاءَ منزلةً ماءُ الصَبابة من عينيك مَسْجومُ

(١) لسان العرب: (خ. ي. ل).
(٢) لسان العرب: (خ. و. ل).
(٣) القاموس المحيط: (خ. ا. ل).
(٤) القاموس المحيط: (و. س. م).
(٥) المصدر السابق: (خ. و. ل).
(٦) تاج العروس: (خ. و. ل).
(٧) المصدر السابق: (خ. ي. ل).
(٨) تهذيب اللغة: ج١٢/ ص ٤٢٢(ر. س. م).

وكذلك إذا نظرتَ وتفرَّستَ أين تحفر أو تبني"[١]. واستفاد ابن منظور من نص الصحاح في هذا السياق[٢].

٨- المُرَوّع والمُحَدَّث :

ورد عن الأزهري قال:" وفي الحديث المرفوع: إن في كل أمة مُحَدَّثين ومروَّعين، فإن يكن في هذه الأمة منهم أحد فهو عمر. والمروع الذي ألقي في روعه الصواب والصدق، وكذلك المحدَّث؛ كأنه حُدِّث بالحق الغائب فنطق به"[٣]. ونقل هذا النصَّ بلفظه ابنُ منظور بعد أنْ صَدَّرَهُ بقوله:" والمُرَوَّعُ المُلْهَم؛ كأنَّ الأمر يُلْقى في رُوعه"[٤]. وجاء عن الزّبيدي قوله:" المُرَوَّع، كمُعَظَّم: مَن يُلقى في صَدْرِه صِدقُ فِراسَةٍ، أو من يُلهَمُ الصوابَ، وبهما فُسِّرَ الحديثُ المَرفوع: "إنَّ في كلِّ أمَّةٍ مُحَدَّثينَ ومُرَوَّعينَ..."[٥].

٩- زكن :

ورد في معجم العين" الإزكانُ: أن تُزْكِنَ شيئاً بالظن فتصيب. تقول: أزكنته إزكاناً. وزكِنْتُ منه إذا حسبت منه، يقال: زَكِنْتُ منه مثل الذي زَكِنَهُ مني"[٦]. ونقل الأزهري منه منسوباً إلى الليث، ولكنه أضاف:" وقال اللحياني: هي الزَّكَانَة والزكانِيةَ.... وقال الأصمعي: يقال: زكِنْتُ من فلانٍ

(١) الصحاح: ج٥/ ص ١٩٣٢، (ر. س. م).
(٢) لسان العرب: (ر. س. م).
(٣) تهذيب اللغة: كتاب الثلاثي المعتَلّ من حرف العين، ج٣/ ص ١٧٨، باب (ر.و.ع)
(٤) لسان العرب: (ر. و. ع).
(٥) تاج العروس: (ر. و. ع).
(٦) العين: (ز. ك. ن).

كذا وكذا أي علمت.... أبو عبيد عن أبي زيد: زَكِنتُ الرجل أزكَنُه زكناً إذا ظننت به شيئاً، وأزكنته الخبر إزكانًا: أفهمته حتى زكِنه: فهمه فهماً. وروى ابن هانئ عن أبي زيد: زَكِنْتُ منه مثل الذي زكِنَه مني وأنا أزكَنُه زَكَناً، وهو الظن الذي يكون عندك بمنزلة اليقين وإن لم يخبرك به أحدٌ. وقال أبو الصقر: زكنْتُ من الرجل مثل الذي زكِن منِّي يقول: علمت منه مثل الذي علم مني. أبو عبيد عن اليزيدي: زكِنت بفلان كذا، وأزكنت أي ظننت"[(١)].

وتنوقلت هذه المعاني في" المحكم"[(٢)]. وجاء في أساس البلاغة" رجل ذهن زكن: فراس، وفيه زكن إياس، وهو" أزكن من إياس".... وعن ابن درستويه: زكن فلانٌ وزكن: حزر وخمن، وفلان زكن ومزكن وصاحب إزكان"[(٣)].

ونقل عن سابقيهِ صاحبُ" لسان العرب" الذي أضاف:" الزَّكَنُ، بالتحريك، التفرُّس والظن. يقال: زَكِنْتُه صالحاً أَي ظننته، قال: ولا يقال منه: رجل زَكِنٌ وقد أَزْكنته، وإِن كانت العامة قد أُولِعَتْ به، وإِنما يقال أَزْكنته شيئاً أَعلمته إياه، وأَفهمته حتى زَكِنَه؛ قال ابن بري: حكى الخليل أَزْكَنْتُ بمعنى ظننت فأَصبت، قال: يقال رجل مُزْكِنٌ إِذا كان يظن فيصيب، والأَفصح زَكِنت، بغير أَلف، وأَنكر ابن قتيبة زَكِنْتُ بمعنى

(١) تهذيب اللغة: تحقيق: أ. علي حسن هلالي، مراجعة: محمد علي النجار، كتاب الثلاثي الصحيح من حرف الكاف، ج ١٠/ ص ٩٩ - ١٠٠(ز. ك. ن).

(٢) المحكم: (ز. ك. ن).

(٣) أساس البلاغة: (ز. ك. ن).

ظننت... وفي ذكر إياس بن معاوية المزني قاضي البصرة يضرب به المثل في الذكاء، قال بعضهم: هو أَزْكَنُ من إياس؛ الزَّكنُ والإِزْكانُ: الفِطْنة والحَدْسُ الصادق"[١].

١٠- العاكل والمُعْكِل :

أورد الأزهري عن أبي" عبيدة عن الفراء: عكَل يعكُلُ عَكْلاً، مثل: حدس يحدس حدساً، إذا قال برأيه"[٢]. وفي الجوهري:" عكَلَ برأيه؛ أي حدس به"[٣]. وفي ابن سيده" وعكَل برأيه يَعْكُل عكْلاً: حدس"[٤]. وفي الصاحب" وعكَل في الأمر، يَعْكُل عَكْلا: قال فيه برأيه، وعكَل برأيه يَعْكُل عَكْلاً: حدس"[٥]. واستفاد منهم الفيروز آبادي[٦]، ومن قبله ابنُ منظور، ولكنه زاد فقال:" وعكَل برأْيه يَعْكُلُ عَكْلاً: مثل حَدَسَ يَحْدِسُ. والعاكِلُ والمُعْكِلُ والغَيْذَانُ والمُخَمَّنُ: الذي يَظُنُّ فيصيب"[٧]. ولعله لهذا المعنى سُمِّيَ" بنو النَّظَّارِ"، وهم" قوم من عُكْلٍ"، وكذلك" وإبل نَظَّاريَّة: منسوبة إِليهم"[٨].

(١) لسان العرب: (ز. ك. ن).
(٢) تهذيب اللغة: (ع. ك. ل).
(٣) الصحاح: (ع. ك. ل).
(٤) المحكم: (ع. ك. ل).
(٥) المحيط: (ع. ك. ل).
(٦) القاموس المحيط: (ع. ك. ل).
(٧) لسان العرب: (ع. ك. ل).
(٨) السابق: (ن. ظ. ر).

١١- الغَيْذان :

ورد في التهذيب عن أبي" العباس عن ابن الأعرابي قال: العاكل، والمُعْكِل، والغَيذَانُ، والمخمِّن: الذي يظنُّ فيصيب". وجاء في لسان العرب" عن ابن الأَعرابي قال: الغَيْذان الذي يظن فيصيب، بالغين والذال المعجمتين". ونقل عنه نصاً الفيروز آبادي[١].

١٢- التوسّم :

جاء عن الخليل في معجمه" **العين**" وفلانٌ مَوْسومٌ بالخير والشّرّ، أي: عليه علامته. وتوسمتُ فيه الخَيْرَ والشَّرّ، أي: رأيت فيه أَثَراً. قال:- بحر الطويل-

وَسَمَّتْهُ لمّا رأيتُ مَهابةً عليهِ، وقلتُ: المَرْءُ من آلِ هاشمِ"[٢]

وفي" **الصحاح**" للجوهري قال:" وقد تَوَسَّمْتُ فيه الخير؛ أي تفرَّست"[٣]. وفي" **مقاييس اللغة**" لابنِ فارس (ت. ٣٩٥هـ):" قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر: ٧٥]: النَّاظرين في السِّمَة الدَّالَّة"[٤]. وجاء في" تهذيب اللغة":" ويقال: تَوسّمتُ في فلان خيراً: أي

(١) ينظر، لسان العرب+ القاموس المحيط: (غ. ي. ذ).

(٢) الخليل: العين (و. س. م).

(٣) الجوهري: الصحاح، ج٥/ ٢٠٥٢، (و. س. م).

(٤) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، كتاب السين، باب الواو والسين وما يثلثهما، م٦/ ص ١١١، (و. س. م).

رأيت فيه أثراً منه، وتوسَّمْت فيه الخير، أي تفرَّسْتُ...، وقوله جل وعز: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [١]؛ أي للمُتَفَرِّسين"[٢].

وفي "**لسان العرب**" قال:" وتفرَّس فيه الشيءَ: توسَّمَه. والاسم الفِراسَة، بالكسر"[٣]، " وقد تَوَسَّمْت فيه الخير أَي تفرَّسْت... يقال: توَسَّمْتُ في فلان خيراً أي رأَيت فيه أَثراً منه. وتوَسَّمْتُ فيه الخيرَ؛ أي تَفَرَّسْتُ، مأْخذه من الوَسْمِ أي عرَفْت فيه سِمَتَه وعلامتَه" [٤]. وفي "**تاج العروس**":" والفِرَاسَةُ، بالكَسْرِ: اسمٌ مِن التَّفَرُّسِ، وهو التَّوَسُّم، يُقال: تَفَرَّسَ فيه الشيْءَ، إِذا تَوَسَّمَه"[٥].

وإذا انتقلنا إلى كتب الحديث والتفسير فسنجد وقوفها عند الآية القرآنية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، فقد جاء عن الترمذي (ت. ٢٩٧هـ) في هذا السياق قولُه:" ... عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ(اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فإِنَّه ينظُر بنُور الله)، ثم قرأ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريبٌ؛ إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد رُوِيَ عن بعض أهل العلم. وتفسيرُ هذهِ الآيةِ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، قال : للمتفرسين"[٦].

---

(١) الحجر: الآية: ٧٥.

(٢) تهذيب اللغة: (و. س. م).

(٣) لسان العرب: (ف. ر. س).

(٤) لسان العرب: (و. س. م).

(٥) تاج العروس (ف. ر. س).

(٦) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة: الجامع الصحيح، وهو سُنَن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

١٣- التوهم :

ذكر **ابن منظور**" وتَوَهَّمَ الشيءَ :تخيَّله وتمثَّله، كان في الوجود أَو لم يكن. وقال: تَوهَّمْتُ الشيءَ وتفَرَّسْتُه وتَوسَّمْتُه وتَبَيَّنْتُه بمعنى واحد؛ قال زهير في معنى التوَهُّم: (فَلأْياً عَرَفْتُ الدار **بعدَ تَوهُّمِ**)، صدر البيت: (وقَفْتُ بها من بعدِ عشرين حِجَّة)"[(١)]. والمعنى في هذا السياقِ مجازيّ.

١٤- العَشَم :

وقد يقترب من معنى التوسم والحدس ما هو دارجٌ على ألسنة الناس حين يقولون: أنا أتعشم في فلان الخير؛ أي أتوسّمُ فيك فِعلَ الخير، وعند خيْبِ ظنهم أو حَدْسِهم فيه:" هذا ليس عَشَمي فيك"؛ أي ليس ظنّي فيك، أو" ليس أملي"، أو" ليس ما تخيلته في فُلان". ولم أجد هذا المعنى الذائع على الألسنة المعاصرة، والموافق في صياغته لنظام العربية الصرفي في معاني الجذر (ع. ش. م) في معجمات اللغة العربية التي اطلعت عليها.

*** علاقة المشترك اللفظي :**

سبق في سطور هذه الدراسة الوقوف تفصيلاً عند المعنى المشترك الذي حمله كلٌّ من لفظي" الفارس" و" الفراسة".

=الحلبي وأولاده بمصر، ط٢/ ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م، ينظر فيه: (كتاب تفسير القرآن)، باب ١٦، رقم الحديث: ٣١٢٧، ج٥/ ص ٢٩٨.

(١) لسان العرب: (و. هـ. م).

*** علاقة الأضداد :**

عثرنا في سياق هذه العلاقة الدلالية على ثلاث مفرداتٍ وردت في المعجمات العربية، وهي :

*** احتكل واعتكل :**

وإذا كان الحاكل هو المخمّن فإنَّ الاحتكالَ والاعتكالَ قد جاءا بمعنى الإشكال والعجمة، جاء في تهذيب اللغة عن أبي" العباس عن ابن الأعرابي: في لسانهِ حُكْلَة؛ أيْ عُجْمَة.... سلمة عن الفراء قال: أشكلت علي الأخبار وأحكلت وأعكلت واحتكلت؛ أي أشكلت. وقال ابن الأعرابي: حكل وأحكَلَ وعَكل وأعكل واعتكل واحتكل بمعنى واحد. أبو عبيد عن الأصمعي: في لسانه حكلة أي عجمة"(١).

وفي الصحاح" الحُكْلُ: ما لا يُسْمَعُ له صَوت. ويقال: في لسانه حُكْلَةٌ، أي عجمةٌ لا يُبين الكلامَ. وقد أَحْكَلَ عليّ الخبَرُ؛ أي أشكَلَ، واحْتَكَلَ، أي اشتكل"(٢). وفي المحكم" وحَكَلَ عليهِ الأمر، وأحكَلَ واحتَكَلَ: التبس واشتبه، كعكل"(٣). وفي المحيط" في لِسانهِ حُكْلَةٌ؛ أي عُجْمَةٌ. والحُكْلُ: ... كُلَّ كَلام مُعَمَّس لا وَجْهَ له. والتَّحَكُّلُ: اللَّجاجُ بالجَهْل. وأحْكَلَ عَلَيَّ الأمْرُ: اشْتَبَهَ، واحْتَكَلَ: مِثْلُهُ"(٤). وفيه أيضاً" عكل عليه الأمر، وأعْكَل، وأعْتَكَل: التبس واشتبه"(٥). وتكررت المعاني

(١) تهذيب اللغة: (ح. ك. ل).
(٢) الصحاح: (ح. ك. ل).
(٣) المحكم: (ح. ك. ل).
(٤) المحيط: (ح. ك. ل).
(٥) المحيط: (ع. ك. ل).

السابقةُ في مادة (ح. ك. ل) في معجمي" لسان العرب" و" تاج العروس". وذكر اللسان في مادة (ع. ك. ل)" عَكَلَ عليه الأَمرُ وأَعْكَلَ واعتَكَلَ: الْتَبسَ واشتبه. وفي حديث عمرو بن مُرَّة: عند اعْتِكال الضَّرَائر؛ أَي عند اختلاط الأُمور، ويروى بالراء"؛ أي" اعتكار"[١].

عَلّان :

ذكر الأزهري" وقال أبو سعيد: تقول العرب: أنا عَلاَّنُ بأرضِ كذا كذا؛ أي جاهل. قال: وامرأةٌ عَلّانة: جاهلة. قال: وهي لغة معروفة. قلت- أي الأزهري-: لا أعرف هذا الحرف، ولا أدري مَن رواه عن أبي سعيد. وقال الفراء: العرب تقول للعاثر: لعاً لك. وتقول عَلْ ولَعَلْ، وعَلَّكَ ولعلَّك واحد"[٢].

ونقل عنه ابن منظور والزَّبيدي[٣]. واختصَّ ابنُ فارسٍ لفظ العَلّان بغير الماهِر بركوب الخيل، قال:" إنه لَعَلّانٌ بركوب الخيل، إذا لم يكُ ماهرا، ويُنشِدونَ في ذلك ما لا يَصِحُّ ولا يُعَوَّلُ عليه"[٤].

(١) لسان العرب: (ع. ك. ر).

(٢) تهذيب اللغة: (عل).

(٣) لسان العرب + تاج العروس:(ع. ل. ل.).

(٤) مقاييس اللغة: كتاب العين، باب العين وما بعدها في المضاعَف والمطابِق والأصمّ، (ج٤)، (ع. ل).

*** خلاصة الدراسة ونتائجها :**

وأياً يكن من أمرٍ فإننا نخلص مما سبق عرضُهُ إلى أنَّ هؤلاءِ العلماءَ الذين وقفنا عند ما جاء عنهم في سياق دراستِهم لِدلالةِ لفظَي "الفراسةِ" بفتحِ الفاءِ وكسرِها قد جاءت آراؤهم **على النحوِ التالي** :

- **اتجاه** جماعةٍ منهم إلى التفريقِ بين اللفظين من خلالِ شرحِ المعنى الدال عليه كلٌّ منهما بدونِ الإشارةِ إلى ماهيةِ حركةِ فائها، وتجلّى هذا الاتجاه عند علماءَ وقفنا على ما جاء عنهم من نصوصٍ في هذهِ المسألة؛ كما هو الحال عند الخليل بن أحمد والأصمعي- في نص ابن السكيت- وابن الأعرابي وثعلب وابن الجبان والهرويّ وأبي محمد البغدادي والزمخشري...إلخ.

- **اتجاه** جماعةٍ منهم لِبيانِ الفرقِ المعنوي بينَ اللفظينِ بالنصِّ فقط على أنَّ كسرَ حركةِ الفاء يدلُّ على الاسمِ ومعنى التفرّس بالنظرِ الفاحصِ والمتدبِّر، وذلك في إشارةٍ فارقةٍ بينها وبينَ قرينتها الدالةِ على المصدرِ ومعنى فَراسةِ الفارسِ على ظهرِ الفَرس، وذلك كما هو الحال عند ابنِ أبي الحديد الرافضي، أو أضافوا النصَّ على كسرِها كما جاء في نصوص الأصمعي وابن الأعرابي في مصنفات الأزهري والفيروز آبادي والزَّبيدي مثلاً، أو قاموا بتشكيلها بهذه الكسرة كما فعل محققون في تحقيقاتهم للكتب التي وردت فيها.

*** ونبهت الدراسة أيضاً إلى :**

- **اتجاه** جماعةٍ منهم في التفريق بين معنى اللفظين بالنصِّ على ماهيةِ حركةِ فاءِ كلٍّ منهما في كلٍّ معنىً من المعنيين على أساسِ المبنى والمعنى، وجاء هذا الاتجاه- في الأغلب- عند جماعةٍ تأخر زمنُها عن الجماعتين السابقتين، كما هو الحال عند الجَوهري والصاغاني وابن منظور، وَفَرَقَ ابن درستويهِ بينهما بما يمكن تسميتُهُ بـ" الاستشهاد" أو" التمثيل بالنظير من الكلمات".

- **تنبيه** جماعةٍ من علماءِ اللغةِ الأوائل كالفراءِ والزجاجِ ومن لفَّ لفَّهم على جوازِ الفتحِ والكسرِ في ألفاظٍ خاصَّةٍ كالولايةِ والوكالةِ تُعبِّرُ في سِياقاتِها التركيبيةِ عن علاقةٍ دلاليةٍ تكشفُ عن تَضادٍّ المعنى المسبِّبِ لاختلافِ حركةِ الفاء.

- **تنبيه** بعضِ العلماءِ إلى أنَّ اختلافَ حركةِ فاء الفراسةِ يعودُ إلى أنه لغةٌ أو لهجة. واختصه ابنُ الحسنِ بالكسر، ولكنه تخصيصٌ مَرْدودٌ بقولِ بعضِهم:" وليست بذلك".

- **أنَّ توجيه** العلماءِ الذين ذهبوا إلى جوازِ كسرِ فاءِ الفراسةِ وفتحها في سياقاتٍ دلاليةٍ خاصةٍ لم يَمنعْهُم منَ النَّصِّ على أثَرِ اختلافِ الحركةِ في التفريقِ بين دلالتِها بالكسرِ على الاسميةِ ومعنى التفرّسِ بالنظرِ، ودلالتِها بالفتحِ على المصدريةِ ومعنى التفرّسِ على ظهرِ الخيلِ؛ وهذا ما يجعل الدراسةَ تُقَرِّرُ أنَّ اختلافَ حركةِ فاءِ لفظِ" الفراسة" قائمٌ عند العلماءِ على اختلافِ الدلالةِ بين الاسميةِ أو المصدريةِ فيه، وأنَّ" الفِراسة" بكسرِ الفاء

تَعني التثبتَ وإمعانَ النظرِ؛ وصولاً إلى معنىً أو مضمونٍ صائب. أما" الفَراسةُ" بفتح الفاءِ فهو التفرّسُ المتمايزُ في ركوب الخيل والحِذق بأمرها.

- **وقوفها** إلى جانبِ التفريقِ بين حركَتي فاءِ لفظِ" الفراسة"؛ تمييزاً للمعنى الدقيقِ بينهما، وقد انطلقَ إلى جانب البحثِ والتفرس في النصوص من إحساسِها بخفةِ حركةِ الفتحةِ المناسِبةِ لسرعةِ انطلاقِ الفارسِ وَفَرَسِهِ، وخفةِ تناغمِ حركاتهِ المنشرح صدره لها، وكأنه الطائرُ المحلِّقُ في فضاءِ مناسبةِ مُتطلباتِ حركةِ فرسِه، وذلك بخلافِ حركةِ الكسرةِ الأثقلُ والأصعبُ منها نطقاً؛ الحالُ الذي يناسبُ التأنّيَ وعناءَ التفحصِ والتبصّرِ والتدقيقِ والتدبرِ؛ وصولاً إلى الأصوب.

- **تقرير** غرابةِ ما جاء عن أبي جعفر الفهري في القرن السابع الهجري من قولِ بكسر فاء الفراسة وفتحها في المعنيين.

- **وجود تناغمٍ معنويٍّ عامٍّ بين لفظي" الفارِس" والفراسة"** تمثَّلَ في دلالةِ كلٍّ منهما على مَعْنَيَي" التفرّسِ" و" فاعلِهما" بصفةٍ عامة؛ فقد تنبهت الدراسةُ لِما في لفظ" **الفارس**" **من معنىً مُشْتَرَكٍ** تَمَثَّلَ في دلالتِهِ العامةِ على المتفرِّسِ نَظَراً أو على ظهرِ الخيل. وأيضاً لِما في لفظِ" **الفراسة**" بِنُطْقَي فائهِ من **دلالةٍ عامةٍ** على حَذاقَةِ التَّفَرُّسِ والتمايز فيه؛ الأمرُ الذي **يربطُ** بينَ اللفظين نطقاً ومعنى، وقد **يُعلّلُ** لِما جاء عن بعضِ أهلِ العربيةِ وعلمائِها في الخلطِ بين حركتيها نُطْقاً، وعدمِ الالتفاتِ إلى أثرِ اختلافِ الحركةِ في التمييزِ المعنويِّ فيه.

- **تعليل** الدراسةِ للخلطِ في نطقِ فاءِ الفراسةِ لم يمنعها من النظرِ المتفرسِ الذي أوحى لها باستنتاجٍ قد يُقوّي قولَ جمهرةِ العلماءِ في التمييزِ بأثر اختلاف الحركة في التفريق بين معنيي الفراسة، حيث استلهمت من خفةِ حركةِ الفتحةِ دلالةً على خفةِ الفارسِ على ظهرِ فرسِه، ومن ثِقَلِ حركةِ الكسرةِ وقوتها دلالةً على ما يبذله الفارس وهو يُمْعِنُ النَّظرَ للوصولِ إلى صوابِ البصيرةِ والتوسّم.

- **القول بوجود** المعنى المشتركِ" الحذاقة والتمايز فيها" في لفظِ" الفراسة" لا يعني القولَ **بوجوب الجمع** بين حذاقةِ فروسيةِ الخيل وفروسيةِ النظر في الفارسِ الواحِد، وإنْ كان هذا الجمع بين الحذاقتين في فارسٍ واحدٍ ممكنا.

- **اللفتُ إلى تَفرُّدِ** الزَّبيدي في الإشارة إلى التدرج التاريخي لمعنى "الفراسة"، وذلك حين جعلَ فَراسةَ الفارسِ على الخيلِ هي المعنى الأول لها، ثمّ كان التوسع مجازاً لتصيرَ الفراسة دالةً" لكلِّ حاذِقٍ بما يُمَارِسُ من الأَشْياءِ كلِّها"، وأراه تحليلاً معقولاً ومقبولاً؛ لأنه اعتمد فيه على طبيعةِ نقل المعنى من الماديِّ إلى المجازي. وهو تحليلٌ لعلّهُ لم يُسبَقْ إليه؛ فلم أطّلعْ على القولِ بهذا التدرج التاريخي لمعنى الفراسة في متون المصنفات التي رجعنا إليها في هذه الدراسة.

- في مجال العلاقات الدلالية خلصت الدراسة إلى أن للفظ التفرّس بمعنى التثبت وإمعان النظر **مرادفات أو مقاربات** تمثلت في مفردات: الحدْس، والتوسُّم والمتوسِّم، والتخوّل والتخيّل وتَخَيَّل وتَخَوَّلَ، والتّرَسُّم، والحاكل، والعَكْل، والعاكِل، والمُعْكِل، والغَيْذان.

وفي مجال المشترك اللفظي كان بيانها للمعنى المشترك الذي حمله كل من لفظي الفراسة والفارس اللذين شكّلا المرتكز الذي أقيم عليه بحثها. وكذلك وقفت عند علاقة التضاد التي تمثلت في كلمات احتكل واعتكل وعلان.

وفي سياق الدراسة كانت الإشارة إلى العلاقة المجازية أيضاً؛ وذلك بالالتفاتِ إلى المعنى التاريخي المستفاد من إشارة الزبيدي إلى دلالة لفظ الفراسة على كلِّ حاذِق بما يُمَارِسُ من الأَشْياءِ كلّها، وإشارتنا إلى المجاز في التوهم بمعنى التفرس.

وبعد،

فهذا ما قدِّر لي تقديمه في هذه الدراسةِ الشائكة الشائقة، نسأل الله العليَّ القدير أنْ ينفع به، وأنْ ييسرَ لأهل العربيةِ فهمَ مغزاه، وهو الحرص على سلامةِ لفظِ العربية وتركيبها، وعدم الانصرافِ عن لغة العروبةِ والإسلام إلى لغاتٍ أخرى.

والله من وراء القصد، والموفق والمستعان

الأستاذ الدكتور/ صادق عبد الله أبو سليمان

جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ

الموافق: أبريل ٢٠١٥م

المصادر والمراجع :

- **ابن الأعرابي أبو عبد الله محمد بن زياد :**

كتاب أسماء خيل العربِ وفرسانها، تحقيق: د. نوري حمود القيسي ود.حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

- **الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة :**

الجامع الصحيح، وهو سُنَن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢/ ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

- **ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى :**

الفصيح، تحقيق ودراسة: د. عاطف مدكور، دار المعارف- مصر.

ابن الجبان، أبو منصور :

- شرح الفصيح في اللغة، تقديم: أ. إبراهيم الوائلي، تحقيق: د. عبد الجبار جعفر القزاز، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط١/ ١٩٩١م.

- **ابن أبي الحديد الرافضي :**

نظم فصيح ثعلب، نشر أبو مالك العوضي، موقع ملتقى أهل التفسير(١٩/ ١١/ ١٤٣١هـ = ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٠م).

http://vb.tafsir.net/tafsir22885/#.VJ_3Cl4gGo

- **ابن درستويه، أبو محمد عبدالله بن جعفر :**

تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- وزارة الأوقاف(ج. م. ع).

- **الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر :**

شرح الفصيح(ق٢)، تحقيق ودراسة: د. إبراهيم بن عبد الله الغامدي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

- **ابن السكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق :**

إصلاح المنطق، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الناشر: دار المعارف- القاهرة، الطبعة الرابعة، وجاء تأريخ مقدمتي المحققين في ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.

- **الفهري اللبلي، أبو جعفر أحمد بن يوسف :**

لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، تحقيق: أ. د. عبد الحفيظ سالم، دراسة: أ. د. عبد الكريم علي عثمان عوفي، مركز إحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.

- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم :**

أدب الكاتب، حققه وعلَّقَ حواشيه، ووضع فهارسه: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م. **ولـه تحقيق آخر** شرحه وكتب

هوامشه وقدَّمَ له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١/ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

- **الهروي، أبو سهل محمد بن علي بن محمد :**

*** كتاب إسفار الفصيح، دراسة وتحقيق: د. أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، مطابع الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ.

*** التلويح في شرح الفصيح، فصيح ثعلب، وذيله للشيخ الفقيه الأديب موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن الحافظ بن العز يوسف بن محمد البغدادي، مطبعة وادي النيل بقاهرة مصر، ط١/ ١٢٨٥هـ.

De Saussure, F.:

Course in general linguistics, translated by wade Baskin, introduction by Jonthan Culler, 2.nd impression, 1974.

معجمات اللغة :

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد : تهذيب اللغة+ **الجوهري، إسماعيل بن حماد** : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية+ **ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن** : جمهرة اللغة + **الزَّبيدي، محمد مرتضى الزبيدي** : تاج العروس من جواهر القاموس+ **الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر** : أساس البلاغة+ **ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل** : **المحكم والمحيط الأعظم+ الصاحب بن عباد** : المحيط في

اللغة+ **الصاغاني، الحسن محمد بن الحسن** : العباب الزاخر واللباب الفاخر+ **ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا** : معجم مقاييس اللغة+ **الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد** : كتاب العين+ **الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب** : القاموس المحيط+ **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم** : لسان العرب.